الجمهوريـــة الجزائـــريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـــــم العالـــي والبحـــث العلمـــي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلـة

معهـد الآداب واللغـات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجـــع:.....

# المقاومة الجزائرية من خلال فن الخطابة الطيب العقبي أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي

إعداد الطالبتين:
* إبتسام بودرع
* لبنى بن داس

إشراف الأستاذ(ة):
- عمار قرايري -

السنة الجامعية: **2014/2013**

بسم الله الرحمن الرحيم

***بسم الله الرحمان الرحيم***

# *دعـــــاء*

* اللهم لا تجعلنا نصاب بالغرور إذا نجحنا وباليأس إذا أخفقنا *

* وذكرنا دائما أن الإخفاق هو التجربة التي تسبق النجاح..... *

* اللهم إذا أعطيتنا نجاحا فلا تأخذ تواضعنا *

* وإذا أعطيتنا تواضعا فلا تأخذ اعتزازنا بكرامتنا *

***آميـــــــــن***

# --شكـــــر و تقديـــر--

الحمد لله الذي أنار دربنا، و وجه طريقنا و أنار عقولنا بالعلم، و منحنا القوة لتجاوز الصعاب، و وفقنا في إنجاز هذا العمل، ليس من المروءة أن تنطوي صفحات هذه المذكرة دون أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى من قام بمساعدتنا، و نخص بالذكر الأستاذ المحترم "عمار قرايري" الذي كان له بصمة كبيرة على هذه المذكرة و لم يبخل علينا بنصائحه و توجيهاته، و كان له من الفضل ما شجعنا على إتمام هذا العمل دون أن ننسى التقدم بالشكر إلى كل من قام بمساعدتنا سواء من قريب أو من بعيد، و يبقى الشكر لله عز و جل.

# * إهـــــــــداء *

الحمد لله الذي وفقنا لهذا ولم نكن لنصل إليه لولا فضل الله علينا

إليك في عز هدوئك لما عصفت بي الحياة فوجدتك صامدا « أبي العزيز»

أهدي جهدي إلى الصدر الحنون « أمي الحبيبة »

إلى إخوتي حسين وزوجته صورية وإلى رشيد وزوجته سميرة

والكتكوتة رفيدة وإلى أخي عادل

وإلى أخواتي عقيلة، فايزة، دليلة وأختي نصيرة وزوجها رابح

ولا أنســـــــــى صديقـــــات دربي اللواتي وقفـــــــــن بجانبـــي

مـــــــــروة، أســـمـــــاء، كريمـــــة، بشـــــرى، سلمـــى

وإلى المشاكسة آسيا التي لا تحلو الحياة بدونها

وإلى ابنة عمي عبلة وإلى كل من أحبّوني وأحببتهم ويعلمون أنهم في القلب

**لبـــنـــى**

## مقدمـــــــــة:

لقد استرعى انتباهنا ونحن ندرس الأدب الجزائري الحديث، وبخاصة النثر منه، موضوع فن الخطابة الذي يعد من أبرز الفنون القولية تعبيرا عن أحوال المجتمع الوجدانية والسياسية و الاجتماعية و الدينية و الفكرية.

من هنا تكونت لدينا رغبة في الإطلاع على أحوال الجزائر من خلال ما سجلته الخطابة و عبرت عنه خاصة في فترة الاحتلال الفرنسي، و كيف كانت الخطابة سلاحا في يد الجزائريين من أجل الدفاع عن وطنهم فكان هذا سببا في اختيارنا لموضوع البحث الموسوم "المقاومة الجزائرية من خلال فن الخطابة الطيب العقبي أنموذجا". و قد اخترنا لكم بالذات هذا الموضوع في الفترة الزمنية التي تبتدئ بظهور جمعية العلماء المسلمين و تمتد إلى اندلاع ثورة التحرير الكبرى، و هذه الفترة بالذات تمثل مرحلة النهضة الوطنية التي انبعثت فيها حركة فكرية أخصبت الحياة العامة، و أنعشت الناحية الأدبية. حتى أضحت قمة للنهضة الثقافية في تاريخ الجزائر.

و هذا البحث يطرح عدة إشكاليات أبرزها:

-ما هو الدور الكبير الذي لعبته الخطابة في فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر؟

-هل حقق المستعمر مبتغاه من خلال احتلاله للجزائر أم لا؟

-ما هو السلاح الذي اتخذه رواد الإصلاح من أجل الوقوف أمام المستعمر؟

-كيف كان موقف الطيب العقبي من الاحتلال الفرنسي و ما هو المغزى الذي أراد الوصول إليه من خلال العديد من خطبه الإصلاحية

و كان السبب الرئيسي في اختيارنا لهذا الموضوع و بالذات لفن الخطابة هو أن الخطابة سلاح المجتمع الإنساني منذ القدم لدى الزعماء و الساسة في قيادة أممهم إلى حياة أفضل ثم هي ضرورة من ضرورات المجتمع تخدم مقاصد الدعوة الإصلاحية و تنادي

في الناس إلى الانضمام إليها، كما أنها تعد أشد الأنواع الأدبية والتزاما بقضايا الأمة، و ترتبط ارتباطا جذريا بمصيرها، لذا فهي جديرة بأن تدرس لاعتمادها أيضا على عناصر تفردت بها عن غيرها من الفنون الأخرى. إنها دائما تدعو مستمعيها إلى الانضمام إليها عن طريق المخاطبة التي تحقق مقاصدها و الهدف منها في بحثنا هذا المتعلق بالاستعمار الفرنسي فكانت الخطابة بمثابة النور الذي يهتدي به الجزائريون إلى طريق الصواب و عدم الوقوع في شباك المختل الذي حاول بجميع أساليبه المتوحشة طمس مقوماتها و حضارتنا و ديننا و لغتنا و انتمائنا و لهذا فالمخاطبة يجب أن تكون موجهة لجمهور من الناس من أجل غاية حسنة، و إلا كان الحديث مألوفا لا يحتاج إلى لهجة خطابية.

و كل هذه الأسباب و غيرها شجعتنا على خوض غمار هذا البحث في موضوع المقاومة الجزائرية و فن الخطابة لأن الثورة الجزائرية هي أضخم حدث تاريخي مرت به الجزائر و استنتجنا من خلالها أن الخطابة ضرورة من ضرورات الإنسان و سلاح معنوي لا يمكن الاستغناء عنه في تواصل الأفراد و الجماعات.

أما المنهج المتبع في البحث فقد اعتمدنا على المنهجين التاريخي و التحليلي فالأول يتمثل من خلال تتبع الظواهر و الأحداث التاريخية التي كان لها كبير الأثر في البحث و بدونها لا يمكن صياغة نص نثري مكتمل البيانات، إذ أمدنا التاريخ بجملة من المعلومات الكافية التي يسرت لنا الفهم و أعانتنا على الحكم و الاستنتاج، و الثاني فهو لتحليل النص الخطابي و الوقوف على مقاصده، خاصة فيما يتعلق بموضوعات الخطابة في النثر الجزائري الحديث، و قد فرضت طبيعة البحث أن نختار هذين المنهجين.

أما عن الخطة المتبعة في بحثنا هي كالآتـــي:

لقد فرضت علينا طبيعة البحث خطة اشتملت على مقدمة، مدخل، فصلين و خاتمة.

فالمدخل تحدثنا فيه بإيجاز عن الأسباب التي دفعت بفرنسا لاحتلال الجزائر و الحملة الفرنسية التي قادتها على الجزائر و تطور السياسة الفرنسية بها حتى سنة 1871 و كذلك تطرقنا إلى أنواع المقاومة الجزائرية التي حاولوا من خلالها التصدي و الوقوف أمام المستعمر و في الأخير حاولنا إعطاء مثال عن زعيم من زعماء المقاومة ألا و هو الأمير عبد القادر و حاولنا إبراز عمق الثورة الجزائرية و مقوماتها.

أما في الفصل الأول فقد تناولنا فيه تعريف الخطابة لغة و اصطلاحا، و عناصر الخطابة و خصائصها كذلك تطرقنا إلى تطور فن الخطابة عند العرب عبر العصور التاريخية، و في الأخير حاولنا إبراز المراحل التي مرت بها الخطابة في الجزائر و الدور الذي لعبته في التصدي للثورة.

أما الفصل الثاني الذي كان بعنوان "تجليات مقاومة الاستعمار في خطب الطيب العقبي": تناولنا فيه نبذة عن حياة الطيب العقبي و أهم أعماله الإصلاحية التي قام بها، وتطرقنا : تناولنا فيه نبذة عن حياة الطيب العقبي و أهم أعماله الإصلاحية التي قام بها، وتطرقنا إلى الطيب العقبي و دوره في الثورة الجزائرية، و حاولنا إبراز مظاهر المقاومة في خطبه و لقد أخذنا بعض النماذج من الخطب لرواد الإصلاح حول المقاومة الجزائرية وفي الأخير أخذنا خطبة للطيب العقبي و قمنا بتحليلها.

لم نكن نحن أول من تطرق إلى هذه الدراسة بل كان هناك العديد من الدراسات نذكر من بينهم: الحركة الوطنية الجزائرية لأبي القاسم سعد الله، و ليل الاستعمار لفرحات عباس، فن الخطابة لأرسطو و كتاب فن الخطابة و إعداد الخطيب للشيخ علي محفوظ.

ومن مصادر البحث و مراجعه نذكر أهمها :

آثار عبد الحميد بن باديس و محمد البشير الإبراهيمي، و مذكرات محمد خير الدين وأحمد توفيق المدني، و مقالات في الدعوة إلى الإسلامية في الجزائر للعربي التبسي، وسجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و كتاب الجزائر لأحمد توفيق المدني.

و من المراجع: تطور النثر الجزائري الحديث لعبد الله الركيبي و فنون النثر الأدبي في الجزائر لعبد المالك مرتاض، و الخطابة و إعداد الخطيب لعبد الخليل عبده شلبي، والحركة الوطنية و أثرها الإصلاحي في الجزائر لأحمد الخطيب.

و من الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث قلة المصادر و المراجع في المكتبة المركزية، طبيعة الموضوع في حد ذاته و الذي لا توفق في إعطائه كامل حقه و لا يمكن لأي بحث أن يخلو من الصعوبات.

و ختاما فلسنا نزعم أن ما قدمناه في البحث هو كل ما يستحقه هذا الموضوع، و لكن ذلك هو جهدنا المقل بدلناه في سبيل العلم و المعرفة قصد التعرف و محاولة الإفادة، فإن وفقنا فمن الله عز وجل و إن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان، والحمد لله من قبل ومن بعد عليه توكلنا و به آمنا.

# - مدخـــل-

- تمهيـــــد
- دواعي الاستعمــار الفرنسي للجزائر
- الحملة الفرنسية على الجزائر وتطور السياسة الفرنسية بها حتى سنة 1871
- المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي خــلال القرن التاسع عشر

1- النمــط السياسـي

2- المقاومــة المسلحــة

أ -المقاومــة المنظمــة

ب -المقاومــة الشعبيــة غير المنظمــة

- الأمير عبد القــادر يتزعــم حركــة المقاومــة الجزائريـة
- عمق الثورة الجزائرية ومقوماتـها

## تمهيـــــــد :

في تاريخ الشعوب أيام خالدة بما تمثله من تغيير جوهري للأوضاع السائدة، والفاتح من نوفمبر 1954 يسجل بحق صفحة جديدة في تاريخ الجزائر المعاصر لأن الرجال الذين صنعوا الحدث وفجروا الثورة التحريرية الجزائرية– التي عرف المستعمر وكل العالم قوتها– كانوا قد حددوا الهدف ووضعوا أرجلهم في المسار الذي طالما انتظروه والذي فتح لهم مجالا واسعا نحو آفاق جديدة وطرق نضال صحيحة، وكما قال الشهيد عباس لغرور: " يجب اللجوء إلى خيار وحيد للعمل، وإن الطرق الوحيد الذي يؤدي إلى التحرر والذي لا يمكن الرجوع عنه هو طريق الثورة...." (1)، وان كانت المفارقة كبيرة في القوة المادية بين الطرفين فإن الثقة في عدالة القضية هي هونت كل تضحية بل واعتبرتها تزكية وانتصار لشعب ظل يرزح تحت ظل الاحتلال عقودا من الزمان.

كان طريق الكفاح المسلح أسلوبا جديدا اختاره شعبنا وتقـــدم به كنموذج للعمـــل من أجل قهر الاستعمار معتمــدا في ذلك علـــى الإمكانات الذاتية التي يتوفر عليها وعلى قوة الحيـــاة الكامنـــة فيه.

وقد تطرقنا في هذا المدخل إلى عملية الغزو والأسباب التي شجعت الفرنسيين على الأقدام على الإقدام على هذا الفعل والسياسة التي اتبعوها ورد الفعل الجزائري على ذلك، متعرضا لأهم الأفكار التي سايرت الرفض الشعبي لتواجد الفرنسيين وكذلك التركيز على المفاهيم التي بدأت تظهر وتطورت فيما بعد لتصبح مرتكزا لعملية المقاومة الشعبية.

---

(1) مصطفى طلاس وبسام العسلي: الثورة الجزائرية، ط1، دار الشورى، بيروت–لبنان، 1982، ص92.

## - دوافع الاستعمار الفرنسي للجزائر :

لقد تباينت الآراء بين الكتاب والمؤرخين للاستعمار الفرنسي في الجزائر خاصة بين الفرنسيين والجزائريين، منهم حول الأسباب الحقيقية التي أدت إلى عملية الغزو، والوصول إلى الرأي الصائب لابد من تحديد هوية الذين استأثروا بكتابة تاريخ الجزائر وأغلبيتهم من الفرنسيين الذين كان هدفهم بالتحديد إيجاد مبررات يرتكز عليها الفرنسيين لترسيم بقائهم في الجزائر.

وقد رد عليهم كثير من الكتاب والمؤرخين الجزائريين في دراسات وإن جاءت متأخرة إلا أنها تعتبر في محملها تفنيد لإدعاءات الاستعمار ومؤرخيه.ومن هؤلاء فرحات عباس الذي يقول في كتابه ليل الاستعمار" لقد صور بعض المؤرخين الاستعماريين أن رئيس الحكومة الجزائرية الجاهل الأحمق، قد أضاع بلاده بثورة غضب طائشة"(1).

وتعتبر الإدعاءات الفرنسية بمثابة تقرير لواقع مزيف كان الهدف منه أساسا التركيز على حادثة المروحة (2) على أنه السبب الأساسي الذي أدى إلى دخول الفرنسيين إلى الجزائر، واعتبار ذلك دفاعا عن كرامة فرنسا التي أهدرت بفعل هذه الحادثة. وقد تعددت الأسباب والمبررات التي ساقتها فرنسا عند دخولها الجزائر، وتراوحت بين سرد قضاة التطاول الجزائري على السيادة الفرنسية والدفاع الشرعي عن كيان الأمم الأوروبية التي كانت تتعرض سفنها للعمليات في حوض البحر الأبيض المتوسط.كما كانت هناك بعض الآراء التي صاغت أسباب لا ترتكز على أي منطق مقنع، ومن ذلك ما ذكره شارل العاشر ملك فرنسا الذي قام بتنفيذ العملية حيث رأى بأنه لم يراع في العملية سوى

---

(1) فرحات عباس: حرب الجزائر وثورتها (ليل الاستعمار)، أبو بكر رحال، مطبعة فضالة، المغرب، دون تاريخ، ص9.

(2) كوليت وفرانسيس جونسون: ترجمة: محمد علوي الشريف وآخرون، دار الهلال، 1957، ص ص9، 10.

اعتبارات الكراهية الفرنسية (1)، وهذا الرأي يخفي وراءه مجموعة من المعطيات تتعلق بالجانب الديني الذي لعب دورا أساسيا في تأييد أوروبا للعملية.

ووسط التصريحات الفرنسية المتناقضة التي صاحبت الحملة على الجزائر، راحت وسائل الإعلام والدعاية الفرنسية تربط بين عملية الاحتلال والقضاء على حركة الجهاد البحري الذي كانت تتزعمها الجزائر في البحر الأبيض المتوسط الغرض من هذا محاولة كسب التأييد من قبل الدول الأوروبية التي كانت سفنها تتعرض لمثل هذه العمليات بالإضافة إلى تشجيع انجلترا لهذا الغزو لمساندة الملكية الفرنسية وتدعيم بقائها في حكم فرنسا. والطريقة نفسها سار عليها الرؤساء الفرنسيون بعد شارل العاشر، حيث أكدوا كلهم على أن التخلي عن الجزائر سيغضب المسيحيين في كل مكان لأنهم هللوا لهذا الفتح وباركـــوه منذ البداية بأنهم اعتبروا ذلك الحـــكام الفرنسيين تضحيـــة منهم بغـــرض نشـــر الحضـــارة بين القبائل الجزائريـــــة حتى لا يقعوا تحت سلطة استعمار آخر كالاستعمار التركـــي (2).

وبعيدا عن المبررات الفرنسية ومحاولة المؤرخين الاستعماريين التركيز على أمور غير منطقية ووضعها في موقع الأساس.

نرى بأن فرنسا كانت تخطط لاستعمار الجزائر منذ وقت طويل، وفي هذا المعنى يقول فرحات عباس: " لو أتيح لي أن اكتب تاريخ الاستعمار الفرنسي للجزائر لعدت به إلى تاريخ هزيمة نابليون في فاترلو" *(3).

---

(1) فرحات عباس: حرب الجزائر وثورتها (ليل الاستعمار)، أبو بكر رحال، مطبعة فضالة، المغرب، دون تاريخ، ص10.

(2) كوليت وفرانسيس جونسون: الجزائر الثائرة، ص9.

(3) فرحات عباس: حرب الجزائر وثورتها (ليل الاستعمار)، أبو بكر رحال، مطبعة فضالة، المغرب، دون تاريخ، ص54.

* فاترلو: قرية في بلجيكا هزمت فيها قوات نابليون أمام انجلترا سنة 1815.

ويريد بذلك أن يقول بان حادثة المروحة لم تكن إلا سببا مباشرا لتنفيذ خطة احتلال الجزائر التي كانت موضوعة منذ فترة بعيدة، وقدم كتب للمخطط أن ينفذ في عهد شارل العاشر الذي أراد به توجيه أنظار الرأي العام الفرنسي خارج البلاد نظرا للمشكلات العديدة التي كانت تعصف بحكمة (1)" وهذا الرأي له ما يبرره إذا وضعنا في الاعتبار مكانة الجزائر الجغرافية والاقتصادية والعسكرية في ذلك الوقت فقد كانت قوة الجزائر الضاربة في البحر المتوسط محط قلق للدول الأوروبية مجتمعة، مما جعلها تفكر في القيام بعمل مسلح ضدها، إلا أنها بقيت مترددة حتى أتيح لفرنسا التي كانت عازمة على ذلك أن تقوم بالمهمة خاصة و أن تطلعاتها للجزائر كانت مرتبطة بأسباب نذكر منها:

فقدان فرنسا لإمبراطوريتها أثناء حروب الثورة، وتنازلها لإنجلترا عن بعضه المستعمرات نهائيا سنة 1815. لدلك فغن احتلال الجزائر له مدلوله العميق في إعادة إمبراطورية جديدة " (2) وهكذا لم تطق الرأسمالية الفرنسية أن تبقى مخزونة في نطاق ضيق ولذلك تزعمت حركة البحث عن بديل الأراضي الضائعة ليس فقط لاستعمالها كسوق، وإنما لتكون مناطق مفتوحة للجنس الفرنسي واللغة الفرنسية. وقد اختيرت الجزائر وبقية دول المغرب العربي لتكون نقطة ارتكاز للتوغل في القارة الإفريقية"(3).

---

(1) AGERON, CH, ROBERT. HISTOIRE DE L'ALGERIE CONTEMPORAINE (1830-1976)P.U.F. p.p 5-6.

(2) أنظر: نبيل بلاسي: جبهة التحرير الوطني الجزائري ودورها في حرب الاستقلال، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، ص2.

(3) صلاح العقاد: المغرب العربي (الجزائر، تونس، المغرب الأقصى، دراسة في تاريخه الحديث وأحواله المعاصرة، ط2، القاهرة، 1966، ص68.

" كما أن الصراع الأوروبي– الجزائري في البحر الأبيض المتوسط والذي اتخذ طابعا دينيا قد جعل فرنسا تنظر إلى احتلال الجزائر على انه نصر للمسيحية. وقد نفذ بواسطة فرنسا التي تعتبر نفسها زعيمة للكاثوليكية في أوروبا" ( 1). " وحتى تتمكن فرنسا من تحقيق أغراضها الحقيقية عمدت إلى تغليف مطالبها الإقليمية في الجزائر بمجموعة من المطالب الثانوية التي اعتبرتها هي الأسباب الأساسية للأزمة القائمة بينها وبين الجزائر وهذا ما تؤكده المذكرة المؤرخة في 07 كانون الأول( ديسمبر) 1826، والتي أعلنت فيها فرنسا ضرب الحصار على الجزائر، وذلك قبل حادثة المروحة بخمسة شهور"(2)

وتعتبر هذه المطالب من جانب السلطات الفرنسية بمثابة دعاية مسبقة للعمل الذي كان قد خطط له في الأصل، وبقى البحث فقط عن الأسباب والمبررات وانتظار الظروف المناسبة" وبالإضافة إلى هذه العوامل الخارجية التي ركز عليها هؤلاء المؤرخون هناك عوامل داخلية أساسية متعلقة بنظام الحكم الذي كان سائدا في الجزائر والذي وصل إلى درجة لم يعد يربطه بأهل البلاد فيها سوى المصالح المادية" (3)

" وكان على رأس الظلم عشية الاحتلال حسين باشا المولود في الأناضول بالإضافة إلى حاكمي التيطري ووهران الغريبين أيضا عن الشعب وعاداته وتقاليده، ولم يكن هناك سوى باي قسنطينة الذي تربطه علاقات جزائرية ولكنه كذلك كان بعيدا عن هموم السكان وتطلعاتهم"(4)

و باختصار فإن النظام الجزائري العثماني عشية الاحتلال كان لا يراعي مصالحة الخاصة وكان الشعب في حالة تغيب تام ومقصود، وهو ما سهل المهمة للفرنسيين.

---

(1) جمال قنان، عنصر في الأزمة الجزائرية الفرنسية 1826 ، مجلة التاريخ، العدد 17، 1984، ص 9.

(2) المرجع نفسه ص9.

(3) أبو القاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر، المقاومة و التحرير 1830- 1962، ط 1، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 2007، ص7.

(4) المرجع نفسه ص6.

" ونتيجة لمشاركة الجزائر في حرب المورة سنة 1827 إلى جانب قوات الدولة العثمانية وخسارة هذه الحرب فقد ضعفت وسائل الدفـــاع عـــن الجزائر، وقامـــت الدول الأوروبيـــة بتدعيـــم فرنســـا انطلاقا من مقولـــة أن الجزائر دولة إسلاميـــة متعصبـــة منذ المسيحيـــين" (1)

و إلى جانب ذلك كانت هناك قضاة الديون الجزائرية على فرنسا، حيث امتنعت هذه الأخيرة عن سدادها أو الاعتراف بها". واستمرت مطالبة الداي بها حتى حدثت قضية المروحة الشهيرة، والتي جرت بمقر الحكومة الجزائرية حيث لطم الداي القنصل دوفال بمروحة كانت في يده عندما تفوه بألفاظ تمس كرامة الجزائر" (2)

وهكذا تجمعت كل دواعي الاستعمار وبدأ الحصار الفعلي للجزائر سنة 1827 واستمر حتى سنة 1830 حيث تمت عملية الغزو الفعلية.

**- الحملة الفرنسية على الجزائر وتطور السياسة الفرنسية بها حتى سنة1871:**

نتيجة للظروف والأسباب التي ذكرت سابقا، وإتمام الاستعدادات الفرنسية لتنفيذ الحملة، " قامت البحرية الفرنسية بعملية إنزال للجنود الفرنسيين يوم 14 يونيو 1830 في الخليج الغربي لشبه جزيرة سيدي فرج بالقرب من الجزائر العاصمة، ورغم المقاومة المستميتة للقوات الجزائرية إلا أن الجيش الفرنسي استطاع التقدم بسرعة نظرا لفارق التسليح والإمكانيات وهو ما اضطر الداي حسين إلى التوقيع على معاهدة الاستسلام في 5 يوليو 1830، والتي تم بمقتضاها تسليم مدينة الجزائر إلى القوات الغازية" ( 3). ومن بين ما جاء في وثيقة الاستسلام:

---

(1) جلال يحيى : السياسة الفرنسية في الجزائر (1830-1960 ) الطبعة الأولى، دار المعرفة، القاهرة، ص58

(2) المرجع نفسه، ص 58-59

(3) أبو القاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر ، ص 69، 71

1 تسليم حصن القصبة وجميع حصون الجزائر

2 تعهد من القائد العام الفرنسي بضمان حرية الداي والحفاظ على ممتلكاته الشخصية

3 حرية إقامة الشعائر الدينية والمحافظة على العادات والتقاليد وصيانة الحرمات.

ورغم نجاح الحملة إلا أن القوات الفرنسية لاقت مقاومة عنيفة وتكبدت خسائر فادحة سواء في الأرواح أو المعدات، " كما أن نجاح الحملة لم يشفع للملك شارل العاشر أمام الشعب الفرنسي حيث سقط عرشه قبل أن ينتهي شهر يونيو"( 1). وبنجاح الحملة ومرور فترة التردد من قبل الحكام الفرنسيين بعد شارل العاشر، أجمعت الآراء على ضرورة الحفاظ بالمكتب لأن الجزائر في نظرهم مركز تجاري وحربي يفتح آفاق جديدة للفرنسيين لاستعمار مناطق أخرى في إفريقيا"(2).

" وقد كانت كل التصريحات الفرنسية سواء من السياسيين أو مؤرخي الاستعمار وكتابه تبين النظرة الحقيقية للجزائر، ومن ذلك ما نقله فرحات عباس عن برينوس برادول B.BRADOLE أحد المؤرخين الفرنسيين للاستعمار الفرنسي في الجزائر حيث قال في كتابه فرنسا الجديدة– La France nouvelle - " (3) لنا حظ لا مزيد منه من حظ وهذا الحظ هو الجزائر هذه الأرض الخصبة والمتلائمة مع الشعب الفرنسي الذي يحب الفلاحة..... و لا يفصل بينها وبين القطريين المتضامنين لهما شرقا وغربا أي حاجز".* ومن الملاحظ أن الجانب الحضاري في العملية الذي كانت تدعيه فرنسا فقد اغفل كليا ولم تظهر سوى المصالح العاجلة التي أدت إلى القمع والتنكيل في مقابل تشجيع الهجرة الأوروبية إلى البلاد الجزائرية"(4)، وذلك بغرض احتواء العنصر المحلي والسيطرة عليه.

---

(1) خوان جليسبي: الثورة الجزائرية ، عبد ارحمن صدقي أبو طالب ، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، القاهرة 1966، ص 31

(2) فرحات عباس: المصدر السابق، ص 72

(3) فرحات عباس: المصدر السابق، ص 72

* هذا يبين بأن نظرة الفرنسيين لم تكن بقصد الاكتفاء بالجزائر بل أعدتها إلى منطقة المغرب العربي كلها، حيث تمت السيطرة على تونس سنة 1881، و مراكش 1912 .

(4) يحيى بو عزيز: سياسة التسليط الاستعماري و الحركة الوطنية ( 1830-1954) ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985، ص 5.

واتبعت في ذلك سياسة التخويف وإضرام نار الفتنة والنزاعات والفوضى بين القبائل"(1) وفي هذا المعنى نقل جونسون في كتابه" الجزائر خارج القانون L ALGRIE HORS LA LOI " عن فاران(2) قوله " يجب علينا أن نستولي على مراتبهم ومراعيهم ونثقل كواهلهم بضرائب مرهقة حتى يتعذر عليهم الحياة، عند ذلك إما أن يثوروا أو ينخرطوا في جيش فرنسا للدفاع عنها"( 3). وبالنظر إلى هذا الرأي نستنتج زيف المغالطات التي وردت على لسان بعض مؤرخي الاستعمار وقادته السياسيين و العسكريين والتي حاولت أن تعطي للعملية بعدا إنسانيا وحضاريا بل إن الأعمال الوحشية التي صاحبت الغزو وكانت أبعد ما تكون عن شعب هدفه تبليغ رسالة حضارية." وعلى النقيض من القواعد والسلوكيات الحضارية راح الحكام الفرنسيين يتصرف كل حسب هواه. حيث كانوا يطبقون ما بدا لهم من إجراءات دون مراعاة لما يمكن أن تسنه الحكومة المركزية في باريس، وقد ظهرت قمة الوحشية الفرنسية في العمل الذي قام به دوروفيجو (1830–1833) الحاكم العسكري في الجزائر حينما قام بإبادة قبيلة جزائرية كاملة،اتهم أحد أفرادها بقتل أحد أعوان النظام الفرنسي"(4).

ولكن رغم هذه الأعمال الوحشية ومحاولة السيطرة على الموقف عن طريق الترهيب إلا أن الحملة لم تستطع تحقيق كل الأهداف المرجوة منها وهذا ما جعل رئيس الوزراء الفرنسي سولت يشكل لجنة سميت اللجنة الإفريقية LA COMINE AFRICAINE " (5) وذلك بهدف وضع تقرير عن الخطوات التي تمت في عملية الاحتلال والبحث عن طريقة لتحقيق نتائج مرضية تحقق الأهداف المرجوة.

---

(1) فرحات عباس: المصدر السابق، ص 73.

(2) فاران هو أحد الكتاب الفرنسيين الذين نظروا لعمليات الاستعمار الفرنسية له كتاب "هل تصبح الجزائر فرنسية" أنظر فرحات عباس، المصدر نفسه ص 79.

(3) في كلتا الحالتين يؤدي هذا الإجراء إلى محاولة إيجاد مشروعية لتقتيل الجزائرية من أجل ضمان طغيان العنصر الفرنسي.

(4) كولييت و فرانسيس جونسون ، المرجع السابق ، ص 21.

(5) TEGUIA- MOHAMED. L'ALGERIE . O.P.U. ALGER . P .20

" وقد جاء تقرير اللجنة كصحيفة اتهام خطيرة للاستعمار حيث ذكرت فيه كثير من تجاوزات المحتلين خاصة انتهاك الحرمات والمقدسات بخلاف ما نصت عليه وثيقة الاحتلال في 5 يونيو 1830" (1).

و أصدرت اللجنة في يوليو 1834 قرارا بتعيين حاكم عام للبلاد تصيـــر له شؤون السياسة و الإدارة العليا ويتبعه مجلس من الرؤساء المدنين والعسكريين"( 2) " وأول من تولى هذا المنصب هو الجنرال ديرولو DEROLOW وجاء في صحيفة تعيينه بأنه جلس يحكم الممتلكات الفرنسية في شمال إفريقيا"(3).

" وهنا كانت نقطة التحول في السياسة الفرنسية اتجاه الجزائر حيث دعى إلى الاحتلال الكلي ومحاولة إدماج الجزائريين في نطاق الدولة الفرنسية"( 4) . وهكذا تحولت السياسة الفرنسية من محاولة تأديب الداي إلى البحث عن كيفية المحافظة على المناطق المحتلة فمنهـــا إلى عمليـــة التوسع الشاملـــة التي كانت الهـــدف الأول والأخير للاستعمار الفرنســـي.

" وقد نشطت عملية الاستيطان أكثر مع تولي CLAUZEL كلوزيل السلطة كحاكم عام للجزائر(1835–1836) حيث لم تقتصر الهجرة على الفرنسيين وحدهم بل شملت كثيرا من الدول الأخرى مثل: اسبانيا، ايطاليا، سويسرا.....إلخ"(5).

وهذا بهدف دخول رؤوس أموال تمكن من استغلال المنطقة استغلالا تاما." وبمجيء بيجو سنة 1836 مكان كلوزيل صمم على استعمار الجزائر بالقوة العسكرية فأخذ يحول الجنود والضباط إلى فلاحين على أساس أن العسكري أكثر تصميما وتحملا من غيره.

---

(1) كولييت و فرانسيس جونسون، الجزائر الثائرة ص 21
(2) جلال يحيى: المغرب العربي الحديث و المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية، 1982، ص38.
(3) محمد حسين: الاستعمار الفرنسي، دراسة قانونية الجزائر، 1985، ص 37
(4) المرجع نفسه، ص 37
(5) يحيى بو عزيز ، سياسة التسلط الاستعماري و الحركة الوطنية (1830-1954 ) ص 9.

وقام بإنشاء قرى نموذجية للاستيطان على شكل مزارع جماعية، وأصدر سنة 1841 قرارا بالاستيلاء على أراضي الأهالي الثائرين ليستفيد منها المستوطنون الأوروبيون"( 1) وفي سنة 1845 صدر قرار بالاستيلاء على أراضي القبائل التي تؤيد الأمير عبد القادر الذي قاد المقاومة المسلحة ضد الفرنسيين، وهو ما مكن السلطات الاستعمارية من الاستيلاء على حوالي نصف مليون هكتار من الأراضي الزراعية في جهات مختلفة من البلاد، وفي سنة 1846 صدر قرار بضم أراضي القبائل المشاعة وتحويل ملاكها إلى أجزاء خاصة إذا لم يظهروا عقود الملكية تعود إلى ما قبل 7 يوليو 1830، وزيادة على هذا ألغت السلطات الاستعمارية ملكية وذلك بمصادرة أراضي الأوقاف الإسلامية واعتبارها قابلة للبيع"(2).

" و إلى جانب الاستيطان كان هناك بموازاتها تجارب على المستوى الإداري ومن بين ما اخترعه الفرنسيون في هذا المجال ما أطلقوا عليه < السياسة العربية– la politique arabe > و أنشأوا لذلك وظيفة < آغا العرب > وهو شخصية وضعها الفرنسيون في محاولة لتطبيق سياستهم عن طريق شخصيات محلية، كما أنشأوا المكاتب العربية ومديريات الشؤون العربية، وكل هذا لتمكين قبضتهم على المواطنين" (3)

وفي سنة 1845 صدر قرار يؤكد إلحاق الجزائر بفرنسا ويقسمها من الناحية الإدارية إلى 3 مناطق:

**1) منطقة مدنية:** تخضع للسلطات المدنية وتشمل المدن والقرى الساحلية التي يكثر بها العنصر الأوروبي.

**2) منطقة مزدوجة:** يقل فيها العنصر الأوروبي وفيها يخضع الأوروبيون للحكم المدني، بينما يخضع الأهالي (*) للحكم العسكري.

---

(1)مغنية الأزرق: نشوء الطبقات في الجزائر، ترجمة: سمير كرم مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1980، ص 35.

(2)المرجع نفسه ص 53.

(3)يحيى بو عزيز: سياسة التسلط الاستعماري و الحركة الوطنية (1830-1954) ص 9.

- كلية استعملها الفرنسيون للتقليل من قيمة الجزائريين باعتبارهم من الدرجة الثانية.

**3) منطقة عسكرية:** وهي التي لا يوجد بها العنصر الأوروبي، وتشمل منطقة الهضاب العليا والصحراء.(1)

وفي مقابل ذلك قامت الإدارة الفرنسية الاستعمارية سنة 1850 بإلغاء حق الأهالي في انتخاب نواب لهم في المجالس البلدية بدعوى عدم أهليتهم لذلك، وهذا استجابة لدعوة المعمرين بإيجاد قوانين استثنائية خاصة بالأهالي" ( 2). كما حاول نابليون تطبيق سياسة إدماج جديدة بإنشاء ما عرف بوزارة الجزائر والمستعمرات ( 3) والتي توليت كل مصالح الجزائر الإدارية ما عدا التعليم العام والدين، كما ألغى منصب الحاكم العام وعين مكانه وزير مقيم في باريس. لكن منصب الحاكم العام أعيد بعد زيارة نابليون الجزائر سنة 1865 رغم معارضة المستوطنين، وأثناء زيارته الثانية 1863 طرح فكرة المملكة العربية le Royane arabe ومن بين ما جاء في قراره هذا: إن الجزائر مملكة عربية وأنا إمبراطور العرب مثلما أنا إمبراطور الفرنسيين" (4)

" وعلى إثر ذلك صدر في 22 ابريل 1863 قرار يقضي بتمليك الجزائريين الأراضي التي تحت أيديهم سواء كانت ملكا لهم أو مشاعة بين الأعراش" ولكن هذه السياسة لم يكتب لهم النجاح بسبب ثورة المستوطنين عليها خاصة ما يتعلق بفكرة المملكة العربية حيث كان رأيهم أن الجزائريين ليسوا أهلوا لهذه الإصلاحات " وخلال سنة 1870 وافق المجلس التشريع الفرنسي على مشروع إقامة نظام مدني لصالح المستوطنين، كما نص على إلغاء النظام العسكري والمكاتب العربية" وظهرت سيطرة المستوطنين كلية مع قيام الجمهورية الثالثة 1871 وهذا ما ولد رد فعل عنيف لدى الجزائريين اتجاه السياســـات الاستيطانيـــة.

---

(1) حيى بو عزيز: سياسة التسلط الاستعماري و الحركة الوطنية (1830-1954) ص 9.

(2) حيى بو عزيز: سياسة التسلط الاستعماري و الحركة الوطنية (1830-1954) ص 14.

(3) AGERON, CH, ROBERT, POLITIQUE COLONIALE AU MAGHREB P.U.F. PARIS- 1972 P.P 66-76

(4) عبد الحميد زوزو، نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر المعاصر، ( 1830- 1900) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984 ص 135.

## - المقاومة الجزائرية للاستعمـار الفرنسي خلال القرن التاسع عشر:

رغم أن الفرنسيين تمكنوا من احتلال كثير من المواقع الساحلية مع بداية الغزو( الجزائر– وهران– مستغانم– عنابة ) إلا أنهم لاقوا صعوبات كبيرة أثناء توغلهم في الداخل بسبب المقاومة العنيفة التي ظهرت بعد استلام حكومة الداي المركزية ووضوح أهداف فرنسا الحقيقية. ونتيجة للمقاومة الشديدة حاول الفرنسيون أن يجدوا نظاما من الحكم يمكنهم من فرض سيطرتهم على البلاد ومن الأساليب التي استعملوها:

**1**– " استمالة بعض الحكام العرب و إعطائهم مناصب قيادية مثل ما فعل كلوزيل أحد القادة الفرنسيين الذي عين شقيق باي تونس بايا على قسنطينة، كما عين قريبا له بايا على مدينة وهران " (1).

**2**– جمع وجذب القبائل الموالية لفرنسا في محاولة لنشر النفوذ الفرنسي، ولكن هذه الأساليب لم تمنع استمرار المقاومة المسلحة التي قامت في الجزائر ضد الوجود الفرنسي وتنقسم إلى نمطين:

### 1- النمط السياسي:

وقد مثلته جبهة معادية للاستعمار نظرا لعدم احترامه للحياة السياسية والاجتماعية واستخفافه بحياة وتقاليد المجتمع، وتتكون الجبهة أساسا من طبقات التجار والعلماء و أعيان المدن، ومن بين هؤلاء أحمد بو ضربة وعثمان بن حمدان خوجة" ( 2)، " ولكن لم يكن لهذه الجبهة مفعول في تغيير الأوضاع بالجزائر، رغم مطالبهم المستمرة الخاصة بإعطائهم نفس الحقوق التي يتمتع بها الفرنسيين " (3)

---

(1) عبد المجيد التميمي: مغامرة الحماية التونسية على وهران 1830، المجلة التاريخية المغربية، عدد 5 يناير 1971، ص 5-19.

(2) نبيل بلاسي: المرجع نفسه، ص 25

(3) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الحديث، بداية الاحتلال الطبعة الثالثة، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1983 ، ص43.

ومن خلال تحركات ومطالب هؤلاء فإننا لا نكاد نلمس لديهم أي فكرة عن طرد الاستعمار، بل لأنهم حاولوا فقط الحفاظ على مركز المواطن الجزائري إلى جانب الأوروبي، وهذا ما أطلق عليه بالمقاومة السلبية.

وبالنظر إلى الظروف التي رافقت ظهور هذا النوع من المقاومة التي يطلق عليها المقاومة السياسية نجد أن غلق أبواب الحكم من قبل العثمانيين في وجه الطبقة السياسية الجزائرية هو الذي جعل عناصرها يرون في الحملة الفرنسية وسيلة للخلاص من الحكم العثماني المنغلق على نفسه، " وقد صدقوا ما جاء في البيان الذي وزعه الفرنسيون على السكان والذي ادعى بأن الهدف هو معاقبة الأتراك، وبالتالي فإن سلطة البلاد ستؤول إليهم بالضرورة "(1) ولكن الفرنسيين أبدوا فيما بعد عكس ما ادعوه في البداية فقاموا بإعطاء امتيازات لليهود وفسحوا المجال أمام الأوروبيون من المغامرين و إهانة كل ما هو جزائري خاصة المساجد والمقابر وهذا ما مهد لظهور قيادة سياسية بزعامة عثمان بن حمدان خوجة وأحمد بو ضربة حيث قامت باتصالات مع الفرنسيين ولكنها جوبهت بقوة واتهمت بالتآمر وهذا ما جعل عثمان بن حمدان خوجة يصدر كتاب الرمآة وكذلك عرائض تدين الاستعمار الفرنسي" (2)

**2- المقاومة المسلحة:**

" وقد بدأ منذ اليوم الأول لدخول الفرنسيين الجزائر، وحمل لواءها على الأغلب زعماء دينيون تبنوا فكرة الدفاع عن الأرض والدين والشرف وبرز منهم رجال الطرق الصوفية الذين وجدوا فراغا كبيرا بعد سقوط الحكومة المركزية وحاولوا أن يقيموا لأنفسهم كيانات مستقلة تعتمد على مساندة أفراد القبيلة أو العشيرة وكذا الجهة مثلما فعل الأمير عبد القادر" (3) وقد اعتاد المؤرخون تقسيم المقاومة المسلحة إلى

---

(1) أبو القاسم سعد الله: خلاصة تاريخ الجزائر، ص 24.
(2) نفس المرجع، ص 24، 25.
(3) نفس المرجع، ص 43.

نوعين حسب التنظيـــم:

**أ- المقاومة المنظمة:** ويمثلها الأمير عبد القادر في الغرب الجزائري وأحمد باي في قسنطينة عاصمة الإقليم الشرقي، وينظر إليها على أنها تمثل التحدي المنظم للاستعمار الفرنسي، وميزتهـــا كونها اعتمـــدت على جيش منظم وتميـــزت بنظـــرة شملـــت القطر الجزائري كلـــه.

**ب- المقاومة الشعبية غير المنظمة:** وتطلق على تلك الانتفاضات الشعبية التي واجهها الاستعمار محليا، دفاعا عن القبيلة وأرضها، وغالبا ما كانت نظرة قوادها محدودة إلى درجة انعدم معها التنسيق، وهذا ما سيتبين عند التعرض لبعضها في الملحق.

**- الأمير عبد القادر يتزعم حركة المقاومة الجزائرية:**

" ونظرا لوجود قوات الاحتلال وتصميم قادتها على إفتكاك الأرض واستبعاد أبناء الجزائر، طلب سكان غرب البلاد من الشيخ محي الدين بن مصطفى أن يقود المعركة ضد الغزاة الأجانب"(1) فاعتذر لهم بحكم كبره في السن ونصحهم بمبايعة ابنه عبد القادر. وهذا ما حصل يوم 27 نوفمبر 1832 الموافق ل 3 رجب 1248ه، حيث شرع في تنظيم الدولة الجزائرية الجديدة، تكون مدينة معسكر هي مقرها. وبالإضافة إلى تشكيل الحكومة قام الأمير عبد القادر بتكوين مجلس الشورى يشتمل على 11 عضوا برئاسة القاضي أحمد بن الهاشمي المراحي "( 2) و" قد قام التنظيم السياسي للأمير عبد القادر على أسس فدرالية يتمثل في وجود 08 مقاطعـــات إداريـــة يرأس كل مقاطعـــة خليفة للأمير عبد القادر، ويتواجد هؤلاء الخلفاء في:

1 -تلمســـان ( محمد البوطميدي الولهامي)

2 -معسكـــر ( محمد بن فريحة المهاجي ثم مصطفى بن أحمد التهامي)

3 -مليانـــة ( محي الدين بن علال القليعي ثم محمد بن علال)

---

(1) د/ عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962، دار المغرب الاسلامي، بيروت، الطبعة 1 1997 ، ص 108

(2) نفس المرجع/، ص 109

4 - التيطـــري ( مصطفى بن محي الدين ثم محمد البركاني)

5 - مجانـــة ( محمد بن عبد السلام المقراني ثم محمد الخروبي)

6 - بسكـــرة ( فرحات بن سعيد ثم الحسين بن عزوز)

7 - برج حمـــزة ( أحمد بن سالم الديسي)

8 - المنطقة الغربية من الصـــحراء ( قدور بن عبد الباقي) " (1)

" و بإيجاز، فإن الأمير عبد القادر قد شرع في تكوين جيش وطني وفي إنشاء المؤسسات وفي وضع قوانين جديدة مستمدة من الشريعة الإسلامية وصك العملة باسمه"(2)، " وعند تأسيسه لدولة جزائرية حقيقية قام الأمير عبد القادر بتحديد الأهداف التي يرمي إلى تحقيقها من خلال تنظيم المقاومة الجزائرية وهي نشر الأمن، وتأدب الخونة العصاة، توجيه القبائل حول مبدأ الجهاد، مقاومة الفرنسيين بكل الوسائل، دفع الفرنسيين إلى الاعتراف بالجزائر كدولة وبعبد الأمير عبد القادر أميرا للبلاد" (3)

وتميزت دولة الأمير عبد القادر بحسن التنظيم وفيما يتعلق بالمقاومة العسكرية ضد جيش الاحتلال إبتداءا من يوم 4 فيفري 1833. فقد كان يحارب القبائل المتمردة ويحاول أن يوحد الصفوف ويعيد الأمن إلى نصابه لأن الأمير كان يدرك أن الولاء والطاعة واحترام قرارات دولته تعتبر عناصر أساسية لنجاحه أو فشله في مواجهة الفرنسيين الذين كانوا يراهنون على فشل العرب في تنظيم أنفسهم وعدم قدرتهم على جمع ديار عربي كفء للنضال والمقاومة" (4)

---

(1) كيف تحررت الجزائر؟ الجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1979، ص 13، 14.

(2) د/ عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962، ص 109.

(3) محمد الطيب العلوي: مظاهر المقاومة الجزائرية 1830- 1954 قسنطينة، دار البعث، 1985، ص 35.

(4) إسماعيل العربي: المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع (بدون تاريخ) ص 46.

" وبالفعل قد تمكن الأمير عبد القادر في المرحلة الأولى من مواجهة الجيش الفرنسي وإجباره على التمسك والاكتفاء بالبقاء في مدن مستغانم، أرزو، وهران، واضطر الجنرال الفرنسي ديميشيل أن يبرم معاهدة مع الأمير عبد القادر في سنة 1833 :

1 -يعين الأمير عبد القادر وكلاء له في مدن مستغانم ووهران، أرزيو كما تعين فرنسا وكيلاها في معسكر

2 -احتـــرام الديانة الإسلامية

3 -التـــزام الفريقان برد الأسرى

4 -إعطاء الحرية الكاملة للتجارة

5 -لا يسمح لأي أوروبي أن يسافر داخل البلاد إلا إذا كان يحمل رخصة من وكلاء الأمير وموافقة الجنرال الفرنسي "(1).

" ولكن النكسة الكبيرة التي أضعفت الأمير عبد القادر وجيشه تمثلت في الصراع الداخلي بين القبائل وبعض قادته. ففي يوم 12 أفريل 1834 وقعت معركة كبيرة بين قبائل بني عمرو والقائد مصطفى بن إسماعيل رئيس الدوائر بدولة الأمير عبد القادر. وانتهت المعركة بانهزام الأمير غير أن الأمير عبد القادر تمكن يوم 12 جويلية 1834 من إحراز انتصار كبير على مصطفى بن إسماعيل والسيطرة على الموقف" ( 2). وعندما ازداد نفوذ الأمير عبد القادر في المنطقة بدأ العسكريون الفرنسيون يشعرون بالخوف من اتساع نفوذه وتجنيد كل الناس ضد قوات الاحتلال الشهيرة، وتمكن الجيش الفرنسي من الانتصار على جيش الأمير المتواضع في البداية– لكن الأمير أعاد تنظيم قواته وألحق هزيمة فضيعة بجيش تريزل الذي انسحب إلى مدينة أرزو وتقهقر هناك"(3).

---

(1) إسماعيل العربي: المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع (بدون تاريخ) ص 54-55.

(2) د/ عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962، ص 111.

(3) المرجع نفسه ، ص 113.

" وفي سنة 1836 تمكن كلوزيل من السيطرة على مدينة تلمسان وهي منطقة إستراتيجية بالنسبة للمقاومة، فقد كانت تمثل نقطة الإمدادات بالأسلحة التي كانت تصل إلى الجنرال من مراكش(1) وقد تواصلت الصدمات بين الطرفين حتى ما لا إلى محاولة عقد صلح جديد بينهما، وكان قصد= الأمير من ورائه توسيع دائرة نفوذ سيطرته في أراضي القبائل المجاورة." وقد حاول الأمير عبد القادر مواصلة نضاله ولكنه وجد نفسه مضطرا في النهاية أن يقبل بالشروط التي فرضها عليه القائد الفرنسي لاموريسير شريطة السماح له بالسفر إلى البلد الذي يريد أن يهاجر إليه.

**- عمـــق الثورة الجزائرية ومقوماتها :**

جاء في كتاب جوان جليسبي " ثورة الجزائر"( 2) بأن القومية الجزائرية فريدة في نوعها بين القوميات الحديثة، فعلى خلاف القوميين في أي مكان تقدم الجزائريون بمطالبهم في داخل إطار الدولة الفرنسية، لذلك يمكن القول بأن هذه القومية كانت نتيجة لثورة 1954 أكثر من أن تكون سببا لها(3).

و هذه النظرة غير صحيحة، فلو نظرت الكاتبة فقط لتكوين حزب نجم شمال إفريقيا و مبادئه التي قامت على أساسها ثورة 1954، لخلصت إلى أن الثورة كانت نتيجة لتيار قومي دافع بكل قوة عن الشخصية الجزائرية المتميزة و هذا الرأي تابع لتلك النظرة التي انتهجها جل الكتاب في تفسيرهم لقيام الثورة من منطلق أنها ناتجة أصلا عن الأحوال الاقتصادية و الاجتماعية المتردية. و إذا كنا لا نستطيع أن ننفي دور هذه المسائل في التذمر الشعبي، إلا أننا لا نستطيع ربط الثورة الجزائرية بها. لأن مثل هذه الأسباب قد تحدث في أية لحظة اضطرابات، و لكن ليس بحجم الثورة الجزائرية التي استمرت سبع سنوات كاملة كان شعـــارها الجهاد من أجل الجزائر العربية المسلمة.

---

(1) عبد العظيم رمضان: الغزوة الاستعمارية للعالم العربي، دار المعارف، القاهرة، 1985، ص 101-102.

(2) جوان جليسبي: ثورة الجزائر، المرجع نفسه، ص 55.

(3) أنظر: مصطفى الأشرف، الجزائر، الأمة و المجتمع ص120.

" فثورة 1954 تمثل قمة الشعور القومي، و لو لا هذا الإحساس –كما يقول الدكتور راشـــد البراوي في تعليقـــه على رأي خـــوان جليســـي– لمـــا قـــدر لهذه الثورة أن تحظى بالتأيـــيد الشامـــل من جانب جماهير الشعب"(1).

" و كبرهان على أن الأحوال الاقتصادية و الاجتماعية لم تكن سببا عميقا في الثورة الجزائرية، إن الحزب الشيوعي الجزائري الذي تبنى فكرة الإصلاح الاقتصادي و الاجتماعي لم يستطع أن يكون لنفسه قاعدة بين أفراد الشعب الجزائري و ظل لفترة طويلة يبحث عن نفسه، و قد فشل إلى حد كبير، مما يجعله يراجع نفسه كثيرا من المواقف بتبني فكرة الشخصية الجزائرية المتميزة، و يذكر فرانسيس جونسون الذي تناول المسألة الجزائرية بنوع من الحياد أنه من الغريب أن يفشل حزب كهذا في بلد يسوده الفقر و البؤس، و يخطئ الذين يربطون بين فشل هذا الحزب في ضم جماهير المسلمين إلى صفوفه، و بين صلته بالحزب الشيوعي الفرنسي، فهذا ليس سببا كافيا لابتعاد المسلمين عنه إنما السبب الأساســـي هـــو عجـــز الحزب عن التفكير الحقيقي عن الأماني الوطنية للسكان المسلميـــن"(2)

و هكذا فإن عمق الثورة نابع أصلا من التجربة الطويلة التي عاشها الجزائريون طيلة قرن و ربع القرن، " فالثورة كما يقول عمار أوزغقان هي تعبير عن وضع ثوري اختصر في أعماق المجتمع وفق شروط لا تتعلق بإرادة الناس و الطبقات و الأحزاب فقط، تتطلب فئة رائدة تقود المعركة و تتخطى الحواجز "(3)

---

(1) جوان جليسبي: ثورة الجزائر، المرجع نفسه، ص 55.
(2) كوليت و فرانسيس جونسون، الجزائر الثائرة، ص 70.
(3) المرجع نفسه ص 70.

لقد قامت الثورة الجزائرية على أساس الدفاع عن الشخصية الوطنية الجزائرية التي يميزها الانتماء إلى العالم العربي و الإسلامي، و لذلك فإن كلمة المجاهدين التي أطلقت على حملة السلاح من الجزائريين تعني أن الإسلام هو المحرك للقوى الوطنية التي تريد التحرر، و قد أثبت الإسلام بأنه العصب المحرك و الضروري لهذه الثورة.

إن انطلاق الثورة دون سند شبعي، كان يعني مغامرة كبيرة لكن العمل و توجهات الشعب نحو العمل الجدي هو الذي أحاط الثورة بهالة من الترحيب، زالت معها جميع الحسابات التي كانت تؤكد على ضرورة أن تقوم الثورة في ظل حزب منظم تعرفه الجماهير.

# الفصل الأول

**الفصل الأول:** الخطابـــة ودورها في التصـــدي للاستعمار

1. تمهيـــد
2. تعريف الخطابـــة لغـــــة
3. تعريف الخطابة اصطلاحـــا
4. عناصـــر الخطابة وأركانهـــــا
5. خصائصـــها:

أ – الالتـــــزام

ب –الواقعيـــــــة

6. الخطابة عند العرب
7. الخطابة مراحلها ودورها في الجزائر إبان الثورة التحريرية

أ – مرحلة ظهور الأمير عبد القادر

ب – مرحلة ما بعد الأمير عبد القادر

ج – مرحلة ما قبل ظهور جمعية العلماء المسلمين

د – مرحلة ظهور جمعية العلماء

## 1- تمهيـــــد:

عرف الأدب العربي أجناسا أدبية مختلفة فكان الشعر ديوان العرب في الجاهلية، كما كانت الخطابة من الأجناس الأدبية النثرية التي عرفها العرب، وشهر منهم كثير وضرب بهم المثل في الخطابة وفصاحة اللسان، وقد ازدهر هذا الفن ازدهارا رفيعا في العصر الإسلامي لأن الحاجة دعت إليه، فقد تحول الاهتمام إلى النثر بدل الشعر لأن طبيعة الدعوة ونشر هذا الدين الجديد تقتضي النثر لا الشعر فالعقيدة الجديدة فرضت واقعا أدبيا، أفرز اهتماما خاصا بهذا اللون النثري الأدبي.

وبذلك فإن هذا اللون من الدراسة سيعمل على وصل أدبنا وتراثنا بتاريخ الحضارة العربية والفكر العربي والنفسية العربية، لأنها تعد صورة للتجربة الحية التي أخذنا نتلمس مظاهرها المختلفة في أدبنا بعامة وفي النثر بخاصة.

وبهذا نجد أن كلمة الخطابة قد وردت في المعاجم العربية بدلالات متخلفة ونبدأ بدراستها لغة واصطلاحا ثم التعرف على مراحل نشأتها ونموها وتطورها.

## 2- الخطابـــــة لغـــــة :

اشتــق لفــظ (الخطابة) من المــادة اللغوية خ ط ب التي تدل على معان كثيــرة في المعجمات العربية.

فقــد قال "ابن منظور(ت 714ه)" :" قيل هو سبب الأمر يقال ما خطبك؟ أي ما أمرك؟ وتقول: هذا خطب جليل، وخطب يسير" (1) وقال الزمخشري (ت 538): "خاطبه أحسن الخطاب وهو المواجهة بالكلام" (2). ثم تطور المعنى اللغوي في الخطب "الذي يخطب المرأة، وهي خِطْبُهُ التي يَخطُبُها، والجمع أخطاب" (3) وقال أيضا:" رجل خَطَّاب، كيس التصرف في الخطبة والمخاطبــة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكــلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبــان"(4).

وقال الفيروز أبادي (817 ه):" الخطابة: الكلام المنثور المسجع ونحوه، رجل خطيب: حسن الخطبة "(5).

وجاء أيضا في محيط المحيط " الخطابة: كلام الخطيب أي اسم لما يخطب من الكلام، وقيل هي الكلام المنثور المسجــع، والخطبــة ما يتكلم به الخطيب على جماعة مهمة دينية أو دنيويــة"(6).

وأورد المعجــم الوسيط تعريف الخطبة بأنها: "الكلام المنثور يخاطب به متكلم فصيح جمعا من الناس لإقناعهــم"(7).

---

(1) ابن منظور: لسان العرب، (مادة الخطب)، بيروت، دار صادر، الجزء الأول.

(2) الزمخشري: أساس البلاغة، بيروت، مكتبة لبنان، 1996، الجزء الأول، ص112.

(3) ابن منظور: لسان العرب، (مادة خطب)، بيروت، دار صادر، الجزء الأول.

(4) المصدر نفسه: (مادة خطب).

(5) الفيروز أبادي: القاموس المحيط، بيروت، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، ج1، ص65.

(6) بطرس البستاني: محيط المحيط، (مادة خطب)، لبنان، مكتبة لبنان.

(7) المعجم الوسيط، (مادة خطب).

## 3- الخطابـــة اصطلاحـــا:

أما الخطابة اصطلاحا فقد تراوحت بين القدم والحداثة فيعرف أفلاطون الخطابة بقوله:" فن القول، يجعل من يملكون ناحيته بارعين في (الكلام) ومادام الكلام تعبيرا عن الفكر، فإنه يجعلهم أذكياء في شيء ما "(1).

وتحـــدث أرسطـــو عن الخطـــابة فقـــال:" هي الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع في أي موضـــوع كان"(2).

وقال الفارابي:" إن الخطيب إذا أراد بلوغ غايته وحسن سياسة نفسه في أموره فليتوخّ طباع الناس وتلوّن أخلاقهم وتباين أحوالهم "(3).

وعرفها أبو زهرة الذي عدّها علما فقال:" إنها مجموع القوانين تعرف الدارس طرق التأثير بالكلام وحسن الإقناع بالخطاب، فهو يعني بدراسة طرق التأثير ووسائل الإقناع وما يجب أن يكون عليه الخطيب من صفات، وما ينبغي أن يتجه إليه من المعاني في الموضوعات المختلفة وما يجب أن تكون عليه ألفاظ الخطبة وأساليبها وترتيبها، وهو –علم الخطابة– بهذا ينير الطريق أمام من عنده استعداد للخطابة ليربّي ملكاته، وينمي استعداداته ويرشده إلى طريق إصلاح نفسه ليسير في الدرب ويسلك السبيل "(4).

كما عرفها بقوله:" هي صفة راسخة في نفس المتكلم يقتدر بها على التصرف في فنون القول لمحاولة التأثير في نفوس السامعين، وحملهم على ما يراد منهم في إقناعهم "(5).

---

(1) أريسطو طاليس: فن الخطابة، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار الشؤون الثقافية، د ت، ص14.

(2) المصدر نفسه: ص29.

(3) محمد أبو زهرة: الخطابة أصولها تاريخها في أزهى عصورها عند العرب، بيروت، دار الفكر العربي، 1834، ص11.

(4) المصدر نفسه: ص9.

(5) محمد أبو زهرة: الخطابة أصولها تاريخها في أزهى عصورها عند العرب، بيروت، دار الفكر العربي، 1834، ص19.

ونلحظ من تعريفي أبي زهرة السابقين أنه ابتعد عن الدلالة الأدبية للمفهوم، فقد عدّها علما قائما بذاته له قوانينه وأصوله وكأنه يريد أن يقول من درس القواعد الخطابية يصبح خطيبا فإن جاز للباحث أن يخالف، فإني أخالفه، لأن الخطيب إذا لم يكن عنده الفصاحة وقوة البيان التي تجعله قادرا على استمالة الجماهير وجذبها إليه، لا يعد خطيبا.

بعد كل ما سبق يمكن القول: إن الخطابة فن نثري قولي، له قواعده وقوانينه غايته التأثير في جمهور المستمعين، وإقناعهم بالحجة والبرهان.

## 4- عناصر الخطابة و أركانها:

حدد بعض الباحثين المشتغلين في هذا الحقل عناصر الخطابة بثلاثة هي:*

1 -الخطيب . (القائل، أو المرسل).

2 -الخطبة . (المقول فيه، أو الوسيط).

3 -المتلقي . (المستمع، أو المستقبل).

### أولا: الخطيب (المرسل):

يعد الخطيب العنصر الأساسي في تكوين الخطبة بل الرئيس، وعليه تبنى الحادثة أو الخطبة، وللخطيب صفات عدة يجب أن يتحلى بها أهمها:

-كثرة المطالعة والقراءة، والحفظ لآيات القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وأن يكون واسع الإطلاع على العلوم الإنسانية والعلمية، وملمّا بالتراث التاريخي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي وما يدور في بيئته.

---

* ناصر الدين الأسد، شوقي ضيف، محمد أبو زهرة، حنا فاخوري، إحسان النص، عبد الجليل شلبي وغيرهما.

-امتلاك ناصية البلاغة من خلال اللغة السليمة والبراعة في التناص لآيات القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ليتسنى له إيرادها في الخطبة بما يتلاءم مع المعنى العام للخطبة.

-الإلمام بأصول الخطابة وقواعدها، ليطبقها عند إلقاء خطبته من خلال امتلاكه للصفات المعنوية مثل التحلي برباطة الجأش، والسيرة الحسنة والسمعة الطيبة.

والصفات الجسدية مثل شكل الخطيب ومظهره الخارجي وطبيعة صوته وحسن إلقائه، لما لها من تأثير إيجابي في السامعين.

-التمكن من اللغة والنحو وأساليب القول، ملمّا بأساسيات اللغة نظريا وتطبيقيا.

-المران والممارسة: روي أن عثمان بن عفان -رضي الله عنه- صعد المنبر فأرتجّ عليه فقال:" إن أبا بكر وعمر كانا يعدّان لهذا المقام مقالا، وأنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى خطيب، وستأتيكم الخطب على وجهها وتعلمون إن شاء الله "(1).

**ثانيا: أركان الخطبة (الوسيط):**

تتضمن الخطبة ثلاثة أركـــان رئيسيـــة هي:

-المقدمة - العرض - الخاتمة

**المقدمـــــــة:** هي أول ما يظهر من الخطبة ممهدة للموضوع، وهي من أهم عناصر الخطبة التي تشد انتباه السامعين وتهيئهم لسماع ما سيقول لهم الخطيب.

ويجب أن تحتوي على ما تفتتح به الخطبة، كالبسملة والحمد لله والصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وفي هذا السياق يقول الجاحظ:" إن خطباء السلف الطيب وأهل البيان من التابعين بإحسان مازالوا يسمون الخطبة التي لم تبدأ بالحمد: البتراء "(2).

---

(1) الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، بيروت، مكتبة الجاحظ، ج1، ص345.

(2) المصدر نفسه: ج2، ص6.

وكذلك يجب أن تتضمن الجملة الرئيسية أو الموضوع الرئيسي الذي تدور حوله الخطبة، بمعنى أن المقدمة يجب أن تفصح عن الموضوع وعن هدف الخطيب.

"ويجب أن تكون مشوقة إلى ما سيأتي بعدها، وأن تكون عبارتها قصيرة ذات إيقاع حتى لا يمل المستمعون من الكلام بعدها "(1).

**العـــــرض:** هو الجزء الرئيسي من الخطبة، وفيه يتم عرض أفكار الخطيب للمستمعين ومحاولة إقناعهم بها، من خلال اختيار اللفظ المناسب لإيصال المعنى الذي يتلاءم مع الجو العام للخطبة ومراعاة وحدة الموضوع، وذلك من خلال ربط جميع الأفكار الثانوية بالموضوع الرئيس الذي تعالجه الخطبة.

" ومن المعلوم أن وحدة الموضوع في الخطبة يجب أن تتركز في أمر واحد يدور الكلام كله حوله وتتجمع الأدلة لتأييده وتقويته، وقد تكون الأدلة قياسية منطقية أو احتجاجا بحادث تاريخي وتنتهي إلى غرض واحد وتصب كلها في بؤرة واحدة، وعمل الخطيب حينئذ هو تعميق الفكرة وتثبيتها لأن هذا يثير انفعال السامعين، ويدفعهم إلى العمل بما يدعو إليه الخطيب، أما إذا انتقل الخطيب من الفكرة الأساسية إلى الأدلة التي يريد الاستناد إليها فعليه أن يأتي بأدلته واضحة قريبة متصلة بما عرضه في موضوعه "(2).

**الخاتمـــــة:** "هي إجمال ما جاء في الخطبة من أفكار ومعالجتها بأسلوب محكم ومختصر لأنها آخر ما يسمع من الخطبة وهي آخر ما يبقى في أذهان المستمعين "(3).

---

(1) أنظر فن الخطابة لأريسطو طاليس، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار الشؤون الثقافية، ص ص 117.

(2) الخطابة وفن الإلقاء، ص44.

(3) المصدر نفسه، ص13.

وللخاتمة شروط أهمها:

ألا تكون بعيدة عن الموضوع ولا مجددة لأدلة أو آراء جديدة لأنها حينئذ لا تكون خاتمة، وإنما تكون جزءا من الخطبة وامتدادا لها، فمهمة الخاتمة تكمن في تركيز معاني الخطبة واستمالة الناس، وأن تحقق الهدف منها وأن تكون قوية في تعبيرها وفي إلقائها لأنها آخر ما يطرق سمع الناس ويبقى في أذهانهم، وآخر صفات الخاتمة أن تكون قصيرة وحاسمة ومشوقة ومركزة وجامعة للفكرة.

**ثالثـــــا: المتلقي (المستقبل):**

يعد المستمعون العنصر الذي يوجه إليه الكلام في الخطبة ولذلك يجب أن يكون الخطيب عالما بهذا الجمهور، وواضعا ثقافة الجمهور وعلمه أمامه عند تحضير خطبته ; أي مراعاة مستويات الجمهور والمطابقة وفق مقتضى الحال، وإعدادها الإعداد الصحيح والكافي.

**فالجمهور من حيث الثقافة، إما أم يكون عاميّا أو مثقفا أو عالميا.**

- فأما المتلقي العامّي: فهو الذي لم ينل حظا وافرا من العلم والثقافة، وعند التعامل معه فعلى الخطيب أن يبتعد عن الكلام المعقد ولو كان فيه الأدلة والبراهين ويلجأ إلى الموروثات من الأقوال والأمثال السائرة التي يعرفها الجمهور، ومن ثم يقتنع بها لأن العاطفة هي المحرك الأساسي لهذا الجمهور.
- وأما المتلقي المثقف: فهو أميل إلى الأدلة والبراهين والأفكار والإقناع، ولكنه يتأثر بالعواطف، لذلك يجب على الخطيب أن يراعي العواطف في خطبته ولكن دون تعمق ودون عرض لوجهات الخلاف، لأن ذلك يؤدي إلى الملل ويعمل على إضاعة الوقت.

- أما المتلقي العالم: "فهو الذي يجتمع في المؤتمرات العلمية والأدبية، وهنا يجب على الخطيب أن يحكم أدلته وبراهينه ولا يستعمل أسلوب الخطاب المتبع من العوام"(1).

قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– :"نحن معاشر الأنبياء أُمِرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم"(2).

## 5- خصائصهـــا :

أ –**الالتـــزام:** تختلف الأنواع الأدبية فيما بينها بنسبة الالتزام فالخطابة تعد من " أشد الأنواع الأدبية التزاما، لأنها تهدف إلى التأثير والإقناع، معبرة عن عقيد الخطيب ورأيه في مشكلات الوجود، تشتد باشتداد الأزمات التي ترتبط ارتباطا جذريا بمصدر الجماعة وتقرير مستقبلها، وترجحها بين النزاعات والتيارات التي تحدق بها، فهي ربيبة السلاح تواكبه وتعوضه، وأحيانا كثيرة تشحذه وتحفزه وتقتحم ملاحم الدمار والتقتيل والمنكر وما إلى ذلك مما ألف الناس دعوته بطولة ومجدا"(3).

والالتزام هو "حزم الأمر على الوقوف بجانب قضية سياسية أو اجتماعية أو فنية، والانتقال من التأييد الداخلي إلى التعبير خارجيا عن هذا الموقف بكل ما ينتجه الأديب أو الفنان من آثار" (4)، وفكرة الالتزام في الأدب هي وليدة العصر الحاضر إذ لم تكن معروفة في نظر النقاد من قبل، إلا أن مفهومه " قد ارتبط إلى حد بعيد بمفهوم الأدب نفسه، ومدى علاقته بالحياة وبالدور الذي يقوم به الأديب في توجيه هذه الحياة "(5).

---

(1) الخطابة فنونها وشروطها، بيروت، دار الفكر العربي، 1834، ص ص52، 70.

(2) البخاري محمد ابن إسماعيل: صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت، 1981، ص545.

(3) محمد زكي العشماوي: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة، بيروت، 1979، ص ص41، 42.

(4) جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار الملايين للعرب، بيروت، ط2، 1984م، ص31.

(5) د. عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار العودة، ودار الثقافة، بيروت، ط3، ص373.

وهناك اختلاف شديد بين النقاد في قضية الالتزام، إلا أن أصحاب هذه الدعوة يرون أن الأديب صاحب رسالة ينبغي أن يؤديها ويمكنها في قلوب الناس وفق أهداف أمته التي لا يسمح أبدا لشاعريته أن تحيد عنها بل يجب أن يشارك " بالفكر والشعور الفني في قضايا قومه الوطنية والإنسانية، وفيها يعانون من آلام وما يبنون من آمال"(1)، فإذا تقيد الأديب بأهداف أمته وقضاياه وسخر نتاجه الأدبي خدمة لتلك الأهداف والقضايا كان أديبا ملتزما، أم الذي لا يتقيد بمقاصد أمته ولا يعيش قضاياها فهو أديب غير ملتزم.

الظاهر أن الدعوة إلى الالتزام "تحمل في مضمونها الاعتراف بقيمة الفنون بعامة والأدب بخاصة، والاعتراف كذلك بتأثيرها البعيد في حياة المجتمعات الإنسانية، وفي نفوس الذين يعيشون فيها، لتنطلق في سبيل المبادئ ودعوات الإصلاح التي رسمتها أو التي رسمت لها، ولتحقق الغايات التي حددتها تلك الدعوات وتبشر الناس بالسعادة التي يمنيهم بها الدعاة إليها إذا التزموا بها وجروا في مضمارها(2).

ولمّا ظهر الإسلام وما أحدثه من تغيير في حياة العرب الروحية والاجتماعية والسياسية، رأينا شعرهم لم ينسحب من الحياة ويتخلى عن دوره، بل كان يرافق حياتهم في السلم والحرب، وكـــان الشاعر والخطيب يريان أن من واجبهما المشاركة في أحداث مجتمعهمـــا.

وما الخطابة في النثر الجزائري الحديث إلا لون من ألوان الفن الأدبي عبرت تعبيرا صادقا عن مشاعر الشعب الجزائري في جميع أقواله، ممّا يدل على أن الخطباء كانوا يشاركون إخوانهم في مبادئهم ودعواتهم ويتفقون جميعا "في تلك النزعة الدينية المسيطرة المتطلعة إلى صورة من الحكم الإسلامي المصفى من كل شوائب الرغبات الدنيوية التي يمكن أن تحيد بالحاكم عن طريق الحق والدين"(3).

---

(1) د. محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار العودة، بيروت، ط1، 1982، ص484.

(2) د. بدوي طبانة: قضايا النقد الأدبي، دار المريخ للنشر، الرياض، 1984، ص376.

(3) د. عبد القادر القط: في الشعر الإسلامي والأموي، دار النهضة العربية، بيروت، 1979، ص376.

ولو حاولنا تتبع ذلك لاتضح لدينا أن الخطابة في النثر الجزائري الحديث تقوم على الالتزام الكامل بقيم المجتمع، ولذلك فلا عجب أن تصطبغ خطبهم بالدعوة إليها والحدث على المحافظة عليها، وتبين ذلك من خلال ما سنتعرض له من أمثلة مختارة لبعض الخطباء: فخطاب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين **عبد الحميد ابن باديس** الذي ألقاه في الاجتماع العام بنادي الترقي يتحدث فيه عن قضايا الأمة الكثيرة التي كانت تشغل بال رجال الجمعية منها الدعوة إلى القلم، وتبليغ الدين يدل على مدى التزام الجمعية بالخط المتفق عليه، ذلك ما نستشفه من خلال قول الخطيب: « إن جمعيتكم جمعية دينية، تدعو إلى العلم النافع ونشره وتعين عليه، وتدعو إلى الدين الخالص وتعمل لتثبيته وتقوية وازعه في نفوس هذه الأمة، فوظيفتها هي وظيفة المعلم المرشد الناصح في تعليمه وإرشاده، الذي لا يبتغي من وراء علمه أجرا ولا محمدة، وقد أراد إخوانكم رجال مجلس إدارة الجمعية –وهم حاملوا فكرة الإصلاح الديني والعاملون لها والمنفقون لأوقاتهم في سبيلها– أرادوا أن يكونوا أمثلة الأجيال المقبلة في التضحية في الثبات على الحق، في الجهر به، كما كانوا أمثلة فقد ضربوا الأمثال بأعمالهم....»(1).

أما الشيخ **محمد البشير الإبراهيمي** في كلمة له يدعو فيها إخوانه إلى التضحية في سبيل الإسلام، وتحمل الأذى في الدعوة إليه مما يدل على مدى الالتزام الكامل بهذا الدين الذي يعيشه ويعيش له: « أيضا الإخوان: إن الإسلام لمفتقر في هذا الطور الأخير من حياته إلى ذلك الطراز العالي من البطولة التي عهدها في أبنائه الأولين، وإلى ذلك النوع السامي من التضحية في سبيله واستحلاء الأذى في الدعوة إليه، ومواصلة الكفاح للكائدين له، وهي الحلال التي قام بها بناؤه حينما قام بها أبناؤه، فكانت فئتهم القليلة في العدد الكثيرة بما تستمده من عون الله وحده من المدد، هي طلائع الجهاد والعوامل الممهدة للمهاد في ميدان التضحية والاستشهاد »(2).

---

(1) د. عبد القادر القط: في الشعر الإسلامي والأموي، دار النهضة العربية، بيروت، 1979، ص376.

(2) محمد البشير الإبراهيمي: آثاره، جمع وتقديم: د. أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج2، ص ص119، 120.

"وإصلاح الناس في رأي الخطيب يعتمد على اللين والشدة، فالطريقة الأولى تخص أولئك العامة الذين لا ينكرون الإصلاح لذاته وإنما ينكرونه جهالة وتمسكا بالقديم.

فاللين يحمد مع من يكون في هدايتهم رجاء، وهؤلاء في غالب الأمر يكونون من العامة التي لم تكن تنكر الإصلاح لذاته ; وإنما تنكره جهالة وتقليدا للقدماء من الآباء ولقد أنزل المولى جل وعلا في الذين على شاكلة هؤلاء من الأمم الأولى: « **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا (169)**» سورة البقرة.

وبما أن النفوس البشرية مجبولة على حب الذات كان لزاما على المصلح إذا أومض له بارق أمل في إصلاحها أن يلاينها لئلا تنفض من حوله، قال تعالى: «**وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لاَنفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ (159)**» سورة آل عمران(1).

ب **الواقعيـــة:** إن الأدب الرفيع "هو الذي يصف ما هو موجود فعلا، ويدعو إلى ما يجب أن يتواجد، فالأدب وسيلة لا غاية، ولذا فعليه أن يتحلى بنظرة جماعية وأن يتجاوز العوامل الخيالية لأنها تمزق صلة الشاعر بواقعه، وأن يضبط انفعالاته ضمن حدود النظرة الموضوعية التي يرونها في أفقها الرحيب"(2).

نفهم من هذا أن الأدب الواقعي يعتبر خادما للإنسان أي أنه يمثل الالتحام الكامل والتفاعل المتجادل بين الأديب والمجتمع، الأمر الذي يجعل " مستقبل الأدب مرتبط بمستقبل المجتمع ارتباطا عضويا، فحياة الأدب وقيمة الأديب وخلود الأدب والأديب معا، كل ذلك متوقف على حياة المجتمع ومستقبله، وعلى مدى الصلة التي تربطه بمشاكل هذا المجتمع"(3).

---

(1) محمد البشير الإبراهيمي: آثاره، ج2، ص169.

(2) مجد محمد الباكير البرازي: في النقد الأدبي الحديث، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان–الأردن، ط1، 1986، ص201.

(3) د. محمد مصايف: النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص273.

فهذا الرأي في الواقعية تصحبه آراء أخرى مختلفة إلا أننا لا نود الخوض فيها ونكتفي بالقول – مستأنسين بالرأي السابق– أن الواقعية التي نقصدها هي تلك الأعمال الأدبية التي تعالج قضايا واقعية وأحداث فعلية تعيشها الأمة في مختلف مناحي حياتها، بمعنى آخر على الأديب أن يؤدي دوره الرسالي في المجتمع الذي يعيش فيه، فهو هنا صاحب فكرة يعيشها ويعيش لها.

والدارس لفنون النثر الجزائري الحديث يجد أن الخطابة قد ساهمت بقدر كبير في تنشيط الحياة الثقافية والأدبية وأدت دورها الرسالي على أكمل وجه في المجتمع الجزائري بفضل واقعيتها وتناولها القضايا التي تهم أفراده في مختلف جوانب حياتهم "ولعل الخطابة هي الفن الأدبي الوحيد الذي ظل قائما في جوهره على أساس موضوعي فهي تصور في كل عصر الجانب الواقعي من الفترة التاريخية التي عاش فيها الأديب، ومن هنا يمكن أن تعتبر الخطابة العمل الأدبي الصحيح في تقويم حياة الأمم في عملية كشف ظاهر ومباشر" (1). وهذه بعض النماذج من الخطابة في النثر الجزائري الحديث نتتبعها قصد الوقوف على أهميتها في الواقع الاجتماعي ومدى مصاحبتها لأحداثه.

فالشيخ عبد الحميد بن باديس يعيش واقع الأمة يتأثر بأحداثها ويتابع باهتمام قضاياها، فحينما نقرأ له وخاصة خطبه نجده كثيرا ما يتحدث عن الواقع الجزائري في مختلف جوانبه، ينقل لنا صورة حقيقية عن حياة الشعب الجزائري ومما يعانيه من مظالم الاستعمار الفرنسي، فالمساجد قد عطل دورها الرسالي، والمكاتب قد أعاق سرها، والصحافة منعها. هذه هي صورة الواقع كما نقلها إلينا الخطيب في كلامه: « فالمساجد ما تزال موصدة الأبواب في وجوه الوعاظ والمرشدين، والمكاتب العربية مازالت تلقى العراقيل الشديدة، وصحيفة الجمعية ما تزال في نطاق المنع والتحجير، وما يزال رجال من أشخاص الجمعية البارزين تحت الرقابة والشدة بغير ذنب »(2).

---

(1) عباس محمد: البشير الإبراهيمي أديبا، إشراف د. محسن جمال، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1983م، ص188.

(2) عبد الحميد ابن باديس: آثاره، من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، دار البعث، قسنطينة، ج4، ط1، 1985، ص ص180، 181.

فالشيخ بن باديس كان واقعي في علاجه للقضايا. فكان كثيرا ما يراعي الظروف ولا يتجاوزها بل يحاول بل يحاول التكيف معها حتى لا يصطدم بالواقع وتتعطل مهامه ولا يحقق مقاصده.

وبمناسبة اندلاع الثورة التحريرية 1 نوفمبر 1954 يستعرض الخطيب البشير الإبراهيمي حالة الأمة الجزائرية مبينا حقيقة واقعها المعيشي المفروض عليها من قبل الاحتلال الفرنسي، وهذا في صورة واقعية تدل على مدى التزامه بالواقع ونقله الأمس لأحداثه قصد استنهاض الهمم ودفع الناس إلى الثورة ضد الاحتلال: « لم تبقي لكم فرنسا شيئا تخافون عليه أو تدارونها لأجله، ولم تبق لكم خيطا من الأمل تتعلقون به، أتخافون على أعراضكم وقد انتهكتها أم تخافون على الحرمة وقد استباحتها؟ أم تخافون على الأموال وقد تركتكم فقراء تلتمسون قوت اليوم فلا تجدونه؟ أم تخافون على الأرض وخيراتها، وقد أصبحتم فيها غرباء حفاة عراة جياعا أسعدكم من يعمل فيه رفيقا زراعيا يباع معها ويشترى، حظكم من خيرات بلادكم النظر بالعين والحسرة في النفس. أم تخافون على القصور وتسعة أعشاركم يأوون إلى الغيران كالحشرات والزواحف؟ أم تخافون على الدين؟ ويا ويلكم من الدين الذي لو تجاهدوا في سبيله ويا ويل فرنسا من الإسلام الذي ابتلعت أوقافه وهدمت مساجده، وأذلت رجاله، واستعبدت أهله ومحت آثاره من الأرض وهي تجتهد في محو آثاره من النفوس »(1).

وفي نفس الموضوع خطب الأستاذ أحمد توفيق المدني موجها كلامه إلى الشعب الجزائري يدعوه إلى عدم الاستكانة والسكوت على جبروت وطغيان فرنسا.

إن الالتزام والواقعية ليستا هما فقط من الخطابة بل كذلك هناك خصائص لم نتطرق إليها مثل اللغة والأسلوب، الوضوح، الموسيقى وآثاره الشعور في نفسية المتلقي وكيفية التأثير فيه.

---

(1) البشير الإبراهيمي: آثاره، جمع وتقديم، د. أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج5، ص34.

## 6- الخطابة عند العـــرب:

أما الخطابة عند العرب فإن أهم ما يعنينا في هذا الحديث الخطابة في الجزائر، وقبل ذلك يجمل بنا أن نتحدث بإيجاز عن الخطابة في العصر الجاهلي مرورا بالعصر الإسلامي إلى العصر الحديث.

ففي العصر الجاهلي كانت الخطابة من أبرز الفنون القولية المعبرة "عن أحوال المجتمع العربي الوجدانية والاجتماعية والدينية والفكرية، فأرخت قبل مجيء الإسلام للمنازعات القبلية ولدهشة العربي التي بعثته على التأمل في الكون والدعوة للاعتبار بأحداثه وحقائقه"(1)، لذا يمكن القول أن الخطابة عند العرب كانت لهم ضرورية وفيهم فطرية وإنما لم يصلنا منها إلا القليل معظمها أقوال وجيزة تلقى ارتجالا في شتى المناسبات، ومع ذلك فإن ما تبقى من خطبهم يعد سجلا تاريخيا لماضيهم وخلاصة تجاربهم في الحياة، منها قول **قس بن ساعدة الأيادي** يخطب في الناس: « اسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، إن في السماء لخبراً، وإن في الأرض لعبراً، سحائب تمور ونجوم تغور، في فلك يدور ويقسم قس قسما، إن الله لدينا هو أرضى من دينكم هذا ثم قال: ما لي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون أرضوا بالإقامة فأقاموا، أم تركوا فناموا.... .»(2).

فلما ظهر الإسلام كانت الخطابة أول سلاح استعمل لإعلان العقيدة الجديدة والدعوة إليها، وكان هذا سببا رئيسيا في ازدهارها وتعدد أساليبها وتنوع أفكارها، وقد عمق الإسلام قيمتها وجعلها من الأركان الأساسية في صلاة الجمعة والعيدين والحج، كما كانت سلاحا فاعلا في كل مناسبة يدعى فيها إلى مبادئه السمعة، وبالتالي قويت الخطابة وكثر الخطباء واضعي المحيط الإسلامي كله مدرسة خطابية لا يمكن الاستغناء عنها، بل تمثل

---

(1) د. محمد الزباخ: فنون النثر الأدبي بالأندلس في ظل المرابطين، الدار البيضاء، المغرب، الدار العالمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ص209.

(2) ابن عبد ربه: العقد الفريد، شرحه وضبطه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه: أحمد أمين وآخرون، دار الكتاب العربي، بيروت، ج4، 1983، ص128.

حضورا قويا في كل مناسبة يدعى فيها إلى الإسلام قوله – صلى الله عليه وسلم– في خطبته يوم حجة الوداع: « أيها الناس، اسمعوا مني أبين لكم، فإنني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا، أيها الناس، إن دمائكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا. ألا هل بلغت، اللهم فاشهد، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى الذي ائتمنه عليها، وإن رِبَا الجاهلية موضوع، وإن أول رِبَا أبدأ به رِبَا عمي العباس بن عبد المطلب، وإن دماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية والعمد قود، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر، ففيه مائة بعير، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية ..... أيها الناس، إن لنسائكم عليكم حقا، وإن لكم عليهن حقا، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ....، وإنما النساء عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرا »(1).

وفي العصر الأموي تألقت "الخطابة العربية عامة، والسياسة خاصة، وبلغت فيه غاية بعيدة من الرقي والازدهار"(2).

بل كان حظها من الرواج في هذا العصر ما لم يكن في غيره من عصور الأدب العربي كلها وبخاصة في أول قيام الدولة والسبب في ذلك يعود إلى توفر دواعي كثيرة على رأسها الصراع السياسي والديني بين الفرق الإسلامية التي اعتمدت على الخطابة في الدعاية والتشهير فكان "كل حزب ينتقص خصومه ويذكر معايبهم، وقامت لذلك محاورات ومناظرات كثيرة عنيفة، وهي في جملتها لم تخرج عن منهج الخطابة" (3) مما هيأ مجالا خصبا لبروز خطباء فطاحل نالوا شهرة فائقة، وقد ساعد على رواجها.

---

(1) ابن عبد ربه: العقد الفريد، شرحه وضبطه وعنون موضوعاته: أحمد أمين وآخرون، دار الكتاب العربي، بيروت، ج4، 1983، ص ص57، 58.

(2) د. احسان النص: الخطابة السياسية في عصر بني أمية، دار الفكر، دمشق، سوريا، ص3.

(3) د. عبد الجليل عبده شلبي: الخطابة وإعداد الخطيب، دار الشروق القاهرة، ط2، 1986م، ص210.

أيضا أن المستمعين كانوا لا يزالــون عربا خلصا يفهمون اللغة العربية ويقدرون الكلام الجيد البليغ، ويقتبســون من القــرآن، وهذا ما شجع على الخطابة وتحسينها وتجويــد عباراتهــا.

ولما جاءت الدولة العباسية استمر الصراع بسبب الخلافات وانتشرت الثقافة العربية وتنوعت مناهلها واستوعبت كثيرا من الثقافات الأخرى الأمر الذي أدى إلى ازدهار الخطابة وتنوعها، بحيث أصبحت فنا منظما قائما بذاته تناولت موضوعات الحياة المختلفة وبخاصة منها السياسية التي « اتخذتها الثورة العباسية أداتها في بيان حق العباسيين في الحكم، وكانوا يحسبون منذ أول الأمر بأن أبناء عمهم العلويين يضغطون عليهم استئثارهم بالخلافة من دونهم، فمضوا يؤكدون في خطاباتهم أنهم أصحاب هذا الحق »(1). ولكن لم تستمر الخطابة السياسية في قوتها بل تضاءلت ولم يعد لها شأن يذكر غير أن الخطابة الدينية ظلت مزدهرة طيلة هذا العصر.

ولكن حين أصيبت الدولة العربية الإسلامية بالتراجع والركود وتدهورت الثقافة العربية الإسلامية ; إذ "تكاد المصادر تجمع على أن الثقافة الإسلامية قد أخذت في التدهور منذ عهد المعتصم بينما ظهرت الطرق الصوفية منذ القرن الخامس الهجري" (2)، وهذا أثر سلبا على الأدب العربي في العصور التالية وبخاصة عصر الأتراك الذي انتشر فيه التصوف الخرافي والانحطاط الثقافي، مما هيأ أسبابا لانحصار الخطابة في ميدان واحد تقريبا وهو الجامع، وهذا أمر طبيعي أن تتحول الخطابة عن مكانتها ودورها الرسالي الذي تؤديه إلى صورة مغايرة تماما لتلك التي ألقاها بحيث أصبحت تتسم بالتقليد والميل إلى الركاكة وبروز ظاهرة التكلف في أسلوبها وطابعها العام واقتصار أغراضها على الغرض الديني وحده، يتناول الخطيب فيها نفس المعاني التي تناولها السابقون دون مراعاة طبيعــة المرحلة.

---

(1) د. شوقي ضيف: العصر العباسي الأول، دار المعارف، مصر، ط9، ص448.

(2) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (1500م–1830م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ج1، ط1، 1998، ص185.

## 7- الخطابة ومراحلهـا ودورها في الجزائر إبان الثورة التحريرية

### أ- مرحلة ظهور الأمير عبد القادر:

كما يمكن أن تستمر الخطابة غداة الاحتلال الفرنسي على النحو الذي كانت عليه إبان تواجد الأتراك فيها: "لولا ظهور الأمير عبد القادر وبعض المثقفين الجزائريين الذين ملكوا ناحية القول وأدركوا خطر الخطابة في الدعوة إلى الجهاد واستنفار الذين يحاربون الأعداء خاصة وأن فترة الاحتلال كانت تساعد على اللون من النثر" (1)، مما أسهم في بروز خطباء فطاحل تمكنوا من القول وأبدعوا في الخطابة وصياغتها الفنية، وخطواتها خطوات معتبرة، إذ تحررت من التقليد الجامد « وأصبحت فنا هدفه الإبانة والإفصاح عن الرأي»(2). مراعية طبيعة المرحلة المتميزة بالصراع والفتن الداخلية معبرة عن الحالة الاجتماعية والسياسية التي تعيشها الأمة من مثل ما جاء في خطاب السيد علي أبو طالب عم الأمير عبد القادر أمام مجلس عام من العلماء وأعيان الدولة يتحدث فيه بإطناب عن الحالة التي كانت عليها البلاد وما أحدثه الاحتلال فيها من اضطراب معتمدا على العاطفة الدينية حتى يقنع الناس، يقول: " وقد علمتم – أيها السادة– أنه لما تكاثرت المظالم، وتواطأ العمال ومن وافقهم على ارتكاب المآثم، انتقم الرب – تعالى– منهم، وعمنا ذلك معهم قال تعالى: « **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَ تُصِيبَنَّ الذِّينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً (25)**» سورة الأنفال. فسلط الله علينا عدو ديننا، فتكالب على بلادنا، واستولى على مراسلينا، واستبدل مساجدنا فيها بالكنائس، وأخلاها من المدرس والدارس، فخرج لذلك أهل قطرنا، وضاقت بهم أرض مغربنا، واستبدلوا القصور المشيدة بخيام الشعر، ومضارب الوبر، وتفرقوا أوزاعا في المواطن، وتباينوا في الموارد والمغاطن، وتغيرت الأحوال واشتبه الممكن بالمحال،

---

(1) د. عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث، (1830م–1974)، دار نافع، سنة 1976م، ص12.

(2) المرجع نفسه، ص13.

وتوالى الحل والارتحال، وعف الرجاء في أن يتوب المسافر، ويعود الشارد النافر إلى أن طالت القصة وعزما ندفع به هذه الغصة، ومالت شمس الاتفاق إلى الأفول، وتهيأ جند التناصر والتعاضد للرواج والقفول"(1).

فالقارئ لنص الخطبة يلاحظ مدى تعبيرها عن واقع الناس وتصويرها لحياتهم المهتزة، وهذا في أسلوب واضح بعيد عن التكلف الزائد مراعيا طبيعة المرحلة التي تحياها الأمة.

أما موقف الأمير عبد القادر تجاه الأعداء وبخاصة حين نقضوا العهد لم يجد أسلوب الحماس المفهم بالعاطفة الدينية طريقا قويا لاستنهاض الهمم وشحذ العزائم للثورة ضد المحتلين يقول: " أما بعد ; فلا يخفى أن الله تعالى قال في كتابه المجيد: « **يَأَيُّهَا الذِّينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الذِينَ يَلُونَكُم مِنَ الكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً (124)**» سورة التوبة.

وقال: « **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّه لِلهِ ( 39)**» سورة الأنفال.

هؤلاء القوم قد عاهدناهم فنكثوا، وصدقناهم فغدروا، وصابرناهم فلم يصبروا، وإن تركناهم وشأنهم فلا نلبث أن نراهم قد فتكوا بنا على حين غفلة، وهاهم قد خدعوا الدوائر والزمالة وغيرهم من ضعفاء الدين و حازوهم إليهم. فما الذي يمنعنا من دفاعهم ومقاومتهم؟، ونحن موعودون بالنصر على أعدائنا فهيا بنا أيها المسلمون إلى الجهاد، وهنموا إليه باجتهاد، وارفعوا عن عواتقكم برود الكسل، وأزيلوا من قلوبكم دواعي الخوف والوجع. أما علمتم أن من مات منكم شهيدا ومن بقي نال الفخار وعاش سعيدا "(2).

---

(1) الأمير محمد بن عبد القادر الجزائري: تحفة الزائر في تاريـــــخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج1، ج2، ص ص274، 275.

(2) المرجع السابق.

فهذه النماذج الخطابية التي سقناها لم نأت بها قصد الدراسة والتحليل بل هي للاستدلال عن طبيعة المرحلة وعلى مستوى الخطاب الذي يؤكد صمود اللغة العربية وتفوقها رغم العوائق والظروف القاسية التي تعرضت لها منذ بداية الاحتلال الفرنسي، وفي الوقت نفسه فإن هذه النماذج الخطابية عبّرت عن الواقع المعيشي في أسلوب واضح ومضمون لا تكلف فيه، وما ورد من سجع إنما جاء الخاطر مما يدل على أن هذا الفن قد تحرر من تلك القيود المكبلة وأصبح هدفه خدمة قضايا الأمة، وأن أصحابه يفقهون طبيعة المرحلة التي يعيشونها.

**ب- مرحلة ما بعد الأمير عبد القادر:**

أما بعد الأمير عبد القادر فقد ضعفت الخطابة وتراجعت عن الدور المنوط بها، وذلك لما أحدثه الاستعمار الفرنسي من انقلاب شامل في الحياة بصورة عامة والحياة الأدبية بصورة خاصة « فكان تأثيره قويا على أداة الخطابة أي على اللغة العربية التي ضعفت بل كادت تختفي من الحياة الأدبية والثقافية، الأمر الذي أثر في أسلوب غيرها من الفنون الأدبية النثرية، خاصة بعد منتصف القرن الماضي وكان أن انحسرت الخطابة في دائرة ضيقة بعيدة عن واقع المجتمع وظروفه، وأوت – اللغة- إلى المساجد والزوايا وباتت تقليد لعصور الانحطاط بل أشد ضعفا من حيث أسلوبها أو موضوعها »(1)، وبالتالي سادت في المجتمع الجزائري آنذاك نوع من الخطابة ساعدت على تكريس سياسة التجهيل وزرع الخرافات والأوهام الباطلة يرددها خطباء كان تعليمهم بسيطا وثقافتهم مهتزة مما أعاق مسيرة وتطور هذا الفن في تلك الحقبة الزمنية.

فهذا هو حال الخطابة في تلك المرحلة ; إذ تراجعت وأصبحت عائقا أمام تطور هذا اللون من الفنون النثرية الجزائرية.

---

(1) د. عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث، (1830م-1974)، دار نافع، سنة 1976م، ص12.

لكن الأمر لم يبق على حاله رغم الظروف الصعبة التي تمر بها البلاد فهناك محاولات جادة لبث الأفكار الإصلاحية، وهذا قبل أن تظهر فكرة إنشاء منظمة العلماء الجزائريين.

**ج- مرحلة ما قبل ظهور جمعية العلماء المسلمين:**

ففي هذا المرحلة قد اتخذت الخطابة أداة للتعبير مما أعطاها نفسا قويا لاسترجاع مكانتها الرائدة، ومن الذين اعتمدوها في هذه المرحلة **صالح بن مهنا القسنطيني** الذي يعد بحق من الأوائل في التبشير بالنهضة الإصلاحية في الجزائر قبل أن يستقيم عودها.

فها هو في إحدى خطبه يعبر عن تلك المرحلة في أسلوب واضح رغم ما ورد فيه من سجع لكن سجع يخدم الموضوع، موجها خطابه لأكثر من فئة في المجتمع يقول:

« .... يا معشر الشباب كم من زرع جار قبل الأوان، وكم من غصن صار حطبا إلى النيران، وكم من شاب أدرج في الأكفان فكأنه ما كان، فلا يغرنكم الشباب، فإن مصيره إلى تراب، فبادروا بالتوبة قبل غلق الباب وسدل الحجاب، عسى أن تدخلوا في قول **سيد ولد عدنان**، وشاب نشأ في عبادة الله في ظل عرش الرحمان يوم لا ظل لإنسان إلا ظل الملك الديـــان.

ويا معشر الأغنياء ليس المال في حد ذاته كرامة، إنما الكرامة في التوفيق والاستقامة، فالمال العون لأهل التوفيق والإحسان، ويئس العون لأهل الفسوق والعصيان، فالمال عندك أمانة وأنت وكيل فاتق فيما أولاك الجليل، فإن الوكيل الخائف آثم ومعزول، والوكيل الأمين مأجور ومقبول.

ويا معشر الفقراء لا تجعلوا فقركم فقرين، فقرا من الدنيا وفقرا من الدين، فإن الفقر يتقسم إلى قسمين: فقر مثوبة وفقر عقوبة، فعلامة فقر المثوبة الصبر والطاعة، وعلامة فقر العقوبة السخط والإضاعة. واعلموا أن الفقر شعار الأنبياء والمرسلين، ودثار الأولياء والصالحين، فليس "فرعون" بأعز من "موسى بن عمران" ولا "قارون" بأكرم من "محمد صاحب القرآن".

ويا معشر العلماء العالم هو المقبل على شأنه المعرف بأهل زمانه، حرفته الطاعة وبضاعته القناعة، إن احتيج إليه أفاد، وإن استغنى عنه أغنى نفسه برب العباد، ليس بعياب ولا مغتاب، قد سد باب الطمع، وتواضع لله وخشع، وليس العالم الذي يحفظ كلمات من الجراب، لسانه عامر وقلبه خراب، قد ملأ صحيفته ذنوبا وأوزارا « **مَثَلُ الذِينَ حُمِّلُوا التَوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارَا ( 5)** » سورة الجمعة ، فاستعذ بالله من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، وعمل لا يرفع، ونفس لا تشبع، واعلموا أن العلماء العالمين هم ورثة الأنبياء والمرسلين. وأن علماء السوء هم خلفاء إبليس وورثة الشياطين.

ويا معشر القضاة، القضاة ثلاثة قاض في الجنة، وهو الذي عرف الحق وبه حكم، وقاض في النار وهو الذي عرف الحق وجار وظلم، والثالث في النار وهو الذي حكم بالجهل وما علم. وعلموا أن أهل العدل على منابر من نور، وأهل الجور تغلّ أيديهم إلى أعناقهم فلا يفكها إلا العدل.

ويا معشر التجار لا تكونوا من التجار الفجار الذين بالنهار يحلفون الأيمان وبالليل يحسبون الإيمان. وينقصون الكيل ويفسدون الميزان، ويكتمون عيب السلعة ويخدعون ويغشون أهل الإيمان. واعلموا أن التاجر الصدوق في ظل عرش الرحمان.

ويا معشر الصناع عليكم بالنصيحة والإتــباع. والمحافظة على الفرائض وترك الغش والخداع، فــمن غشنا ليس منــا، والله يحــب المؤمن المحترف أبا العيــال. ولا يرضى بعبــد بطــال.

ويا معشر الظالمين إن ظلم العباد سبب للطرد والإبعاد فلا تظلموا المخلوقات، فإن الظلم سبب لنزع الإيمان عند الممات .... . ويا معشر المظلومين، إن دعوة المظلوم ترفع على الغمام.... ويا معشر العائقين لن تنفعكم الأعمال مع سخط الوالدين، ولو أتيتم بأعمال كالجبال لن يرضى عنكم ذو الجلال حتى تكونوا من التائبين...»(1).

---

(1) سليمان الصيد: صالح بن مهنا القسنطيني، حياته، تراثه، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط 1، سنة 1983م، ص ص188، 191.

القارئ لهذه الخطبة يفهم طبيعة المرحلة التي قيلت فيها، فهي تعبر عن واقع تعيشه الأمة آنذاك، فالخطيب هنا وجه خطابه لأمر من فئة في المجتمع الجزائري قصد الإصلاح، لذا تعد الخطبة إصلاحية وقد جاءت في أسلوب سهل مباشر قصد توصيل الفكرة، وما ورد فيها من سجع لم يؤثر على الموضوع، بل يخدمه.

**د- مرحلة ظهور جمعية العلماء:**

أما بعد ظهور العلماء " أولئك الجزائريين المثقفين الذين بالرغم من تعليمهم العربي وتوجيههم الإسلامي، أصبحوا هادفين بشكل واضح سياسيا ووطنيا " (1)، وقد لاحظنا أن هؤلاء العلماء قد تأثروا بغيرهم من العلماء خارج الوطن، وتعلموا أفكار جديدة عن الحضارة الإسلامية واكتسبوا تصورات عامة عن قوى العالم ومشاكله، وعند عودتهم إلى أرض الوطن دبت فيهم روح التغيير وظهرت بينهم فكرة إنشاء منظمة تعكس طموحاتهم، فتم تأسيس جمعية العلماء المسلمين ولكن تأسيسها لم يكن "خفيف الوقع على الجماعات التي ألغت استغلال جهل الأمة وسذاجتها وعاشت على موتها، ولكن التيار كان جارفا لا يقوم له شيء، فمـــا كان من تلك الجماعـــات إلى أن ســـايرت الجمعيـــة في الظاهر وأسرت لها الكيد في الباطـــن "(2).

لكن الجمعية مضت قدما في حركتها الإصلاحية التي لم تكن في معزل عن العالم، بل كانت تتابع مجريات أحداثه وبخاصة المنطقة العربية التي تأثرت بإشعاعات حركاتها الفكرية والإصلاحية، " لأن الجزائريين كانوا في باكورة القرن العشرين يترقبون بشوق ملتهب وصول بريد المشرق العربي الذي كان يحمل إليهم كتب علمائه ومجلاتهم التي تنشر مقالات وأفكار **مصطفى كامل** و**محمد زيد** و**عبد العزيز جاويت** وغيرهم من قادة الحركة الفكرية "(3).

---

(1) أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، (1900–1930)، دار نافع للطباعة، ج2، ط2، 1977، ص428.

(2) سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المطبعة الجزائرية الإسلامية، قسنطينة.

(3) محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المطبعة العربية الجزائرية، ج2، 1971، ص28.

فالتف حول هذه الجمعية أدباء ومصلحون يدعون إلى العودة إلى المنابع الصافية للإسلام وتقاليد السلف الصالح، من هنا نشأت الجمعيات والنوادي الثقافية وانتشرت الصحافة الوطنية مما أدى إلى ظهور خطابة متطورة في أسلوبها ومضمونها وموضوعها; إذ أصبحت فنا راقيا ساهم مساهمة فاعلة في تنوير العقول وتهيئتها لتحمل أعباء المسؤولية في عملية التغيير للواقع الجزائري الذي يرزح تحت نيران الاستعمار.

وطبيعيا أن تنشط الخطابة في مثل هذه الأجواء المتميزة بالحركة والصراع المحتدم بين جميع الأطراف والدعوة إلى فكر مستنير يستمد أصالته من تاريخ الأمة الأصيل، ويعتمد اللغة العربية الفصيحة وبيناها المشرق في تبليغ الأفكار الإصلاحية.

إلى جانب هذا الاتجاه الإصلاحي هناك "اتجاه آخر يركز على الناحية السياسية الوطنية ويهاجم الاستعمار بجرأة وصراحة فائقة ويمثل هذا الاتجاه (خطباء حزب الشعب) الذين ذهبت آثارهم، ذلك أن طريقهم في مواجهة السلطات الاستعمارية جعلت من الصعب نشر خطبهم أو تسجيلها، كما أن صحفهم كانت تصادر باستمرار"(1).

لذا يجمل بنا أن نعود إلى الحديث عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وطريقة دعوتها في الإرشاد العام للشعب الجزائري في كافة المجالات منطلقة من قوله تعالى: « **إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِم(12)** » سورة الرعد.

فرجال الجمعية كانوا يدركون تمام الإدراك مقاصد هذه الآية الكريمة ما جعلهم يأخذونها نقطة بداية وانطلاق في عملية التغيير الذي من أجله تأسست الجمعية.

---

(1) د. عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث، (1830م–1974)، دار نافع، سنة 1976م، ص21.

والحق أنه لا يمكن حصر أهداف الجمعية في مجال واحد كما هو معلن بأنها جمعية إصلاحية تتبنى الدين الإسلامي قصد إرشاد وتهذيب الناس، ولكن هذا المنهج يخفي في طياته غايات أخرى "في جوهرها سياسية أرادوا ذلك أم لم يريدوا، وقد اتضح ذلك في مواقف سياسية مختلفة، ويؤكد هذا الرأي الإضطهادات التي تعرض لها زعماء الجمعية كالزج بهم في السجون والمحاكمات ومختلف الاتهامات"(1).

والأهداف التي تصبو إليها جمعية المسلمين الجزائريين كثيرة يمكن حصرها في هدفين أساسين: الأول يتمثل في محاربة المبطلين الذين شوهوا صورة الإسلام، وتخليصه مما علق به من دجل وشعوذة وانحراف، ومحاربة إحياء اللغة العربية بإنشاء المدارس والمساجد. أما الهدف الثاني فلا يقل أهمية عن الأول لذا كثيرا ما كانت الجمعية تخطط له وتعمل من أجله، وهو استرجاع حرية واستقلال البلاد وبناء دولة عربية إسلامية.

وقد تجلى ذلك في أكثر من مناسبة يتاح فيها الحديث لقادة الجمعية وأعضائها، وكانت الخطابة الأداة الفاعلة في ذلك إذ كانت الوسيلة الناجعة التي اعتمدتها الجمعية في كثير من نشاطاتها، الأمر الذي هيأ مناخا مناسبا لتطورها في الأسلوب والمحتوى، بل أصبحت فنا يؤدي دوره الرسالي على أكمل وجه في الواقع المعيشي وفي كافة المجالات.

وأخيرا نود أن نجمل القول عن الخطابة في النثر الجزائري الحديث التي اعتمدت في عطائها على التراث العربي القديم، فكانت بذلك حلقة من حلقات ربط الماضي بالحاضر، وهذا ليس بدعا إذا بدت عليها سمة الاقتداء بالقدامى فذلك لا يعود إلى عجز أصحابها على الإبداع وإنما هو لشعور الانتماء إلى الأصل والرغبة في استمراره والارتباط به، وما الإبقاء من جانبهم على تلك الصورة المتوارثة للخطابة إلا تعبيرا واضحا على هذا الانتماء غير أنها "تحررت من الزخرف اللفظي ومالت إلى الوضوح والبيان العربي الأصيل من جهة أخرى، فأعادت بذلك الأسلوب العربي مكانته في الأدب الجزائري"(2).

---

(1) أبو الصفصاف عبد الكريم: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية، (1931–1945)، ص108.

(2) عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث، (1830–1974)، دار نافع، 1976، ص33.

# الفصل الثاني

**الفصل الثاني:** تجليات مقاومة الاستعمار في خطب الطيب العقبي

I. نبذة عن حياة الطيب العقبي

II. أهم أعمال الطيب العقبي

1. الطيب العقبي خطيب نادي الترقي

2. أهم نشاطات الطيب العقبي في بسكرة

أ - بداية صراعه مع الطرقية

ب - دعوته الإصلاحية في المساجد والمجالس

ج- نشاطه الإصلاحي وإصداره لجريدة الإصلاح

III. نماذج من خطب الطيب العقبي المقاومة للاستعمار الفرنسي

IV. خطبة للتحليل

## الفصل الثاني: تجليات مقاومة الاستعمار في خطب الطيب العقبي:

### I. نبذة عن حياة الطيب العقبي:

ولد العلامة المصلح بقرية سيدي عقبة مدينة بسكرة سنة 1890م، وشاءت الأقدار أن يكون من مواليد العقد التاسع من القرن الماضي، وهو العقد الذي ولد فيه كل من الشيخ عبد الحميد بن باديس والإبراهيمي والأمين العمودي(1).

والده هو محمد بن إبراهيم بن الحاج صالح، عائلته من أوسط سكان البلدة، أما والدته فمن بلدة ليّانة ( بالزاب الشرقي) من عائلة آل خليفة الشهيرة بلقب ابن خليفة(2).

هاجر الطيب العقبي مع عائلته إلى الحجاز، واستقر بالمدينة المنورة، أين تلقى تعليمه الأول بها وأخذ من مشايخها مختلف العلوم الإسلامية التي كانت تدرس بالمسجد النبوي، وهناك نشر في الصحف عدة مقالات في الدين والسياسة مما حلت له المشاكل مع السلطات العثمانيـــة التي نفته إلى الأناضـــول بتركـــيا في سنة 1918م، عاد إلى مكة المكرمة وأشرف على إدارة المطابـــع الملكية وجريـــدة القبلة خلفا للكاتب الشهير محب الدين الخطـــيب.

بعد عودته إلى الجزائر سنة 1920م استقر بمدينة بسكرة، وبدأ نشاطه الإصلاحي رفقة الشاعر محمد العيد آل خليفة ومحمد الأمين العمودي (3)، وهناك أسس جريدة الإصلاح سنة 1926م التي كانت تنشر أفكاره ودعوته الإصلاحية بعد عودته من الحجاز(4).

---

(4) عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى، دار مراد، يونيفارسيتي براس، ط2، 2009، ص96.

(5) أحمد شرفي الرفاعي: الشعر الوطني الجزائري: دار الهدى، د ط، عين مليلة، ص173.

(6) آسيا تميم: الشخصيات الجزائرية 100شخصية، دار المسك للنشر والتوزيع، د ط، 2008، ص81.

(7) عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2009، ص77.

حيث دعى إلى ضرورة قيام نهضة عربية إسلامية بعيدا عن الخرافات والشعوذة، والتمسك بتعاليم الإسلام الصحيحة انطلاقا من القرآن الكريم والسنة النبوية، وكان بين المدن الجزائرية للدعوة إلى إصلاح الأوضاع.

استقر بالجزائر العاصمة وقام فيها بنشاط فعّال في مجال الإصلاح الديني والاجتماعي حيث كان يشرف على إدارة نادي الترقي، ساهم مع بن باديس والبشير الإبراهيمي في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وعين مديرا لجريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء وكان له تأثير كبير على التمكين لهذه الحركة الدينية، كما كان له فضل مشكور على النهوض بالصحافة الوطنية.

لعب دورا كبيرا في نجاح المؤتمر الإسلامي سنة 1936م وكان ضمن الوفد الذي انتقل إلى باريس لتقديم مطالب المؤتمر الإسلامي، وعند عودته من باريس قدم تقريرا عن نتائج المؤتمر الإسلامي في تجمع شعبي بملعب العناصر (العاصمة) رفقة مصالي الحاج.

اعتقلته السلطات الفرنسية بتهمة إغتيال المفتي الجزائري محمود كحول ووضع في السجن رغم أنه كان بريئا. بعد خروجه من السجن تأثر كثيرا بتهمة الاغتيال وقلص من نشاطه بتخليه عن إدارة تحرير جريدة البصائر، ثم انسحابه من عضوية المجلس الإداري لجمعية العلماء، وأعاد سنة 1939م إصدار جريدته الأولى «**الإصلاح**» وبدأ يظهر بينه وبين أعضاء الجمعية خلاف حول منهجية الدعوة والإصلاح، لكن واصل نشاطه ضمن نادي الترقي بالجزائر العاصمة(1).

وبعد مساهمة الطيب العقبي المعتبرة في سبيل نهضة الجزائر أصيب بمرض السكّري سنة 1958م وأثر ذلك المرض الخبيث على صحته ولازمه نحو ثلاث سنوات إلى أن ألزمه الفراش، وأجبره على تخليه عن نشاطه الإصلاحي، وتوقفت دروسه بنادي الترقي،

---

(1) أحمد شرفي الرفاعي: الشعر الوطني الجزائري: دار الهدى، د ط، عين مليلة، ص ص173، 174.

وترك الجمعية الخيرية ومدرسة الشبيبة الإسلامية، ورغم المرض العضال الذي مني به الطيب العقبي فقد ظل على توجيهاته لسيرة الإصلاح لزائريه حتى وهو طريح الفراش. وبرغم عنفوان الثورة التحريرية واشتداد الرقابة الفرنسية عليه فإن ذاك لم يثبط من عزيمة أنصاره الذين ظلوا على اتصالهم به، والاستفادة منه وقد أوصاهم بأن يشيّع جثمانه إلى مقبرة شعبية بدون ذكر ولا قراءة للقرآن ولا كلمة تأبين لا قبل الدفن ولا بعده، توفي الطيب العقبي يوم 21 ماي 1960م(1).

## II. أهـــم أعمـــال الطيب العقبـي:

كان الشيخ الطيب العقبي داعية قبل كل شيء، بل كان أكثر من هذا فبفضل بلاغته الفياضة واندفاعه وحسه كان يبدو شبيها أكثر بالخطباء.

إن قوة العقبي تكمن في سهولة وعنف قوله، وبفضل ذلك نال مكانته في صلب الحركة الإصلاحية الجزائرية ويبدو أن بن باديس قد اختاره لتولي منصب العاصمة الأكبر لكونه محامي الإصلاح المتحمس، وأنه ساندة بإخلاص في الظروف الصعبة وتتلخص أعمال هذا الرجل فيما يلي:(2)

### 1 - العقبي خطيب نادي الترقي:

لقد تحسس أعيان العاصمة لحركة الإصلاح الإسلامية التي أصبحت حديث العامة في أواخر العشرينـــات. وسار في هذا الاتجاه الإصلاحي مجموعـــة من رجـــال العلم ودو الجاه والإيمان، وكان على رأس هذه النخبة المتحمسة للإصلاح الـــحاج الزواوي والحاج محفوظ بن تركي، وقدور رودوسي وإبراهيم شبتـــارزي ومحمـــد بن الحفاف، وغيرهم من المحسنيـــن.

---

(1) أحمد مريوش: الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، –الجزائر–، ط1، 2007، ص356.

(2) علي مراد: الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر من 1925 إلى 1940، دار الحكمة، ط2، 2007، ص119.

وقد تمكن هؤلاء من تأسيس نادي الترقي الذي فتح أبوابه في 13 جويلية 1927م، وكان أول محاضر بالنادي هو ابن باديس وقد تحدث في محاضرته عن النوادي عند العرب والمسلمين وأثرها في بعث أحياء الحياة الفكرية والتربوية عند سائر الأمم الأخرى التي سبقته، وإذا كان يهدف إلى الرقي الديني والاجتماعي والأخذ بأسباب التقدم.

كما أن الغرض من تأسيسه هو طرح ومناقشته الوضعية التي آلت إليها الجزائر العاصمة في النصف الأخير من العشرينات(1).

والظاهر أن مهمة العقبي في النادي لم تكن مهمة يسيرة فقد كانت عبارة عن امتحان عسير له في حياته الإصلاحية، لأن العقبي تربى في مناخ خال من العجمة اللسانية، على خلاف ما وجد عليه المجتمع العاصمي في تركيبته الاجتماعية واللغوية والنفسية. هذا بالإضافـــة إلى صعوبة النشـــاط الدعوي الذي سيقوم به العقبي داخل العاصـــمة قريبا من الهيئات الفرنسية كالحاكم العام ومدير الشؤون الأهلية ورجال الدين والموظفـــين. ولذلك اعتبر قدوم العقبي إلى العاصمة بمثـــابة إحدى المهمات الكبرى في الحياة الإصلاحية في الجزائـــر.

وإذا نحن سلمنا بالمهمة الصعبة التي أسندت للعقبي في العاصمة فإلى أي مدى وفق في عمله الإصلاحي؟ لا تعالي إذا قلنا أن مهمة العقبي في العاصمة كانت أشبه ما تكون بالمجازفة لكثرة مزالقها.

وبدأ العقبي حركته الإصلاحية بنادي الترقي إذ عمره بعلمه وإرشاده وخطبه التي عالج فيها الإصلاح الديني والاجتماعي والثقافي وقدرت محاضرات العقبي الأسبوعية بالنادي أكثر من خمس محاضرات، هذا علاوة على الحلقات والندوات التي كان يعقدها من حين لآخر على جماعة النادي وبعض الأعيان من مختلف الولايات الأخرى وكلها تعالج الطرح الجديد للإصلاح.

---

(1) أحمد مريوش: الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، –الجزائر–، ط1، 2007، ص128.

ولم يقتصر مشاط العقبي على النادي بل تعداه إلى إلقاء الدروس والمحاضرات وتفسير القرآن في الجامع الجديد بعد صلاة الجمعة وصلاة العصر من كل يوم أحد. وتلقى العقبي من المشاق ما تلقاه ابن باديس في قسنطينة (1)، حيث لقيت دروسه إقبال كبير من طرف الجزائريين بالعاصمة خاصة فئة الشباب وعمال الميناء، وأصبحوا الجند الواقي لحركته حيث أسماهم بالجيش الأزرق.

وقد تمكن العقبي من إصلاح أوضاع العاصمة وإخراجها من فوضويتها واستقطب الكثير من الجزائريين الذين تركوا المخامر وأماكن القمار واستطاع شد انتباه العصابات وقطاع الطرق وهذا من خلال دعوته المرتكزة على إتباع القرآن والسنة النبوية الشريفة وترك الشرك والخرافات من توسل ونحر لغير الله.

وعليه جعل العقبي من النادي ملتقى الجمع ومربض الأشبال، إذ توحدت فيه الأفكار ونوقشت فيه القضايا العلمية والدينية والاجتماعية والسياسية حول مستقبل الأمة، كما استقطب إليه المحامون والأطباء والمثقفين بالثقافة الفرنسية وربطهم بالهوية الإسلامية.

لقد كانت الفئات الشعبية والعناصر العمالية قليلة العدد آنذاك نسبيا تستهو بها خطب الشيخ العقبي في المسجد وأحاديثه في نادي الترقي، حيث أسهم النادي في تعميق الهوية العربية الإسلامية وتقوية الوازع الثقافي وإحياء اللغة العربية وجعلها لغة الخطابة والحوار والتعامل مما أدى إلى انتشارها في أحياء العاصمة وبين الأهالي هذا أبعد المسخ والتغريب الذي مارسه الاستعمار على سكان العاصمة(2).

---

(1) أحمد مريوش: الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، –الجزائر–، ط1، 2007، ص ص129، 130.

(2) الوناس الحواس: نادي الترقي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية 1927–1954، دار شطايبي للطباعة والنشر والتوزيع، 2013، ص ص167، 168.

وقد وصف الشيخ محمد بن الحاج إبراهيم الطرابلسي بعد زيارته للعاصمة الجو العام الذي أصبح عليه النادي بفضل الخدمات الجليلة التي قدمها العقبي للوافدين بقوله:

نادي الترقي في الجزائر عامر * بالوعظ والتذكير والإرشـــاد

نادي به العقبي عقبـــاه النجاة * من الجهالة أصل كل فســـاد

نادي به القرآن يتلى والحديث * وقول أصحاب النبي الهادي

ولم يتوقف دور النادي في عمل العقبي على الوعظ والإرشاد، بل احتضن أيضا ميلاد الأندية الرياضية والكشفية وأصبح محط الرحالة والوفود العديدة التي زارت الجزائر، كما انعقد بالنادي المؤتمر الثالث لطلبته مسلمي شمال إفريقيا الذي احتضنته الجزائر سنة 1932، وكان للعقبي دور بارز أثناء انعقاد هذا المؤتمر الذي أخذ شعار: أمة شمال إفريقيا والاستقلال التام.

كما جعل العقبي من النادي قلعة للفكر والأدب، ولا يغالي الباحث في جوانب الحركة الثقافية والفكرية في العقد الرابع من هذا القرن أن يعد نادي الترقي سوق الجزائر والمربد الجزائري، في هذا الصدد وصف السعيد الزاهري أحد احتفالات نادي الترقي مع بداية الثلاثينات بقوله: « وغصَّ هذا النادي بالوفود القادمة من أطراف هذا البلد، وتنازل الأعضاء من سكان العاصمة وضواحيها....، واكتظ الندي وامتلأت مدرجاته الفسيحة، واكتظت المماشي والممرات. وكان ضروريا الخضوع للأمر الواقع واستعمال عدة مكبّرات للصوت، ولو أنت أحصيت كـــل هؤلاء الحاضرين لأحصيت منهم على الأقـــل خمسة آلاف.... »(1).

---

(1) أحمد مريوش: الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، –الجزائر–، ط1، 2007، ص ص132، 133.

وأضحى نشاط نادي الترقي كلام العامة والخاصة وكتب حوله الكثير من الكتاب، ومن هؤلاء أبو اليقظان الذي أبرز هو بدوره الأهمية التي أصبح يكسبها نادي الترقي في ميادين اجتماعية وتربوية وسياسية.

أما أحمد توفيق المدني فقد أشاد هو الآخر بأهمية النادي في عهد العقبي، واعتبره بمثابة نواة جديدة للقومية الجزائرية، وأم النادي احتضن ميلاد هيئات جديدة ساهمت بالقسط الكبير في تعزيز المسار الوطني، ومن هذه الهيئات تأسيس جمعية العلماء المسلمين، والجمعية الخيرية الإسلامية واحتضان النادي لمؤتمر طلبة شمال إفريقيا، والمؤتمرات التمهيدية لعقد المؤتمر الإسلامي وتأسيس لجنة إعانة فلسطين.

وكان للعقبي الدور في تهيئة الأجواء التي ولدت فيها هذه المنظمات العديدة، فقد وصل صدى النادي إلى مناطق مجتورة للعاصمة واتضح ذلك في ميلاد نادي النهضة بالبليدة، الذي حضر افتتاحه العقبي نفسه على رأس كوكبة من رجال الإصلاح بالعاصمة أمثال محمد العيد، وأبي اليقظان. وخلال تدخل العقبي حث الحاضرين على ضرورة استغلال النادي وتوظيفه لخدمة الحركة الإصلاحية، وتربية الشباب وتعليم القرآن والعربية و إبعاد النادي عن اللهو والمجون.

وخلال هذا الحفل تدخل أبو اليقظان وحث الحاضرين والمشرفين في النادي على ضرورة الإقتداء بمآثر نادي الترقي، وأرز ذلك بقوله: « إن نادي الترقي بالجزائر بمثابة الأب، وهذا النادي بمثابة مولود مبارك، نحن نحتفل الآن بمولودة، وهذا الجلي الشيخ العقبي النافـــــخ في روح الحياة الإسلامية في نادي الترقي نعده كجسد لهذا الغلام المبـــارك....»(1).

---

(1) الوناس الحواس: نادي الترقي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية 1927–1954، دار شطايبي للطباعة والنشر والتوزيع، 2013، ص169.

و الظاهر أن النادي عرف العصر الذهبي من بداية الثلاثينات إلى نهاية الأربعينات، ونلمس ذلك من خلال أقوال وشهادات معاصري نشاطه. فهذا السيد عمر عيشون يكتب حول العمل الإصلاحي الذي أدخله العقبي على النادي فيقول: « كان مجيء الشيخ العقبي للجزائر وحركته الناشئة عن دروس التفسير التي كان يلقيها بنادي الترقي بالجزائر العاصمة قد أدخلت في الحياة الاجتماعية لهذا البلد خميرة مجمعة لكل عناصر وعوامل الخير....، وأدت إلى نتيجة كادت تكون آنية حيث طهرت الأخلاق ووقفت على أفكار المرابطين وبدعهم واستغلال الإنسان للإنسان، فلا يمكننا أن نذكر النادي ذكرا لألقابه من غير أن تجيش في نفوسنا خواطر من المودة والمشاعر العميقة تجاه ذلك الذي طبـــع النادي بطابع لا تنمحـــي بصمـــاته وأثر تاريخه فـــي الكفاح لتحريـــر الإنسان من الجور بمختلـــف صوره وأشكاله....».

ومما لا ريب فيه أن هذا العمل الجاد الذي أدخله العقبي على النادي قد حرر العقول وأبعدها عن سياسة الزيغ والتنويم، وكل ذلك أزعج الإدارة الفرنسية وآثار غضب المحافظين من الجزائريين، ولجأت فرنسا إلى سياسة الإغراء، وحسب رواية أحد المقربين من نشاط العقبي فإن هذا الأخير حاولت فرنسا مرارا أن تستميله إليها وأن تمنحه منصب المفتي العام للديار الجزائرية، أو مفتي باريس لكن العقبي رفض تلك الحكومية وظل في عمله الحر إلى أن توفـــاه الله(1).

---

(1) الوناس الحواس: نادي الترقي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية 1927–1954، دار شطايبي للطباعة والنشر والتوزيع، 2013، ص170.

## 2 - أهم نشاطات العقبي في بسكرة :

### أ -بداية صراعه مع الطرقية :

بعد ما استتبّ الأمر للشيخ العقبي في مسقط رأسه سيدي عقبة واسترجاع أملاكه أخذ يكشف مرحليا عن سير رجوعه إلى الجزائر، وأشهر سلاحه ضد الخرافات وأهل البدع والضلالة. ودعا إلى السلفية التي اعتنقها في المشرق العربي.

والظاهر أن العقبي لم يجد الأرضية الصالحة لدعوته في سيدي عقبة من جهة، ومن جهة أخرى رأى أن وجوده في بسكرة يكون أكثر حظا في تقبل المبادئ الإصلاحية، كما أن نزول العقبي بمدينة بسكرة قد يعود إلى عراقة المدينة ومكانتها الإدارية باعتبارها مركز تجمع السكان، وهي قبلة القرى والمداشر، كما أن أهل المدينة أكثر نضجا، بل وتقبلا لأفكار العقبي لما اشتهرت به هذه المدينة الثقافية التي تعود إلى ما قبل فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر.

وبدأ العقبي حركة إصلاحية جديدة لا عهد للمنطقة بها، واستهدفت بذلك استرجاع مبادئ وقيم الدين الإسلامي، وتنقية العقيدة من الشوائب والضلالات، لأن ذلك أساس كل عمل دعوي إسلامي، وبذلك شن العقبي حملة قوية ضد المتمربطين ورجال الطرقية وأهل الشرك الذين عملوا على تنويم الفكر الجزائري وإبعاده عن صوابه وعن شريحته السمحة(1).

وقد اصطدم بالوضعية المزرية التي وجد عليها الجزائر وخاصة انحرافها الديني الذي لم يألفه في الحجاز ولذلك فقد تألم لتلك الوضعية، ولم يجد أمامه سوى الهجوم والكشف عن خطط ونوايا الطرق المتعاونة مع سياسة الاستعمار.

---

(1) الطيب العقبي: نهضة الجزائر اليوم ودعوتها الإصلاحية، السنة النبوية المحمدية، 1933م، ص2.

ومن ثمّ فإن دعوة العقبي هي استمرار، بل تجديد لدعوة من سبقه من رجال الدين وخاصة منهم عمر بن قدور الذي سخر الصحافة لخدمة الإصلاح، ولو أنه أنهى حياته في عزلة صوفية.

وقد حزت في نفسية العقبي المظاهر السلبية التي آل إليها المجتمع الجزائري، وعبر عن ذلك بقوله: « حرم هذا القطر من ثمرة العلوم ونتيجة الرقي الفكري والتقدم الأدبي أمدا بعيدا وزمنا غير يسير، حتى أصبح مضرب الأمثال في انحطاط الأمم لما مني به من انتشار داء الجهالة، وموت أهله موتا أدبيا كاد يقطع معه كل طيب اجتماعي بان لا حياة بعده.....»(1).

وقد ساهم رجال الطرق بخرافاتهم وبدعهم المنافية للدين الإسلامي في إعطاء صورة مشوهة للإسلام، حيث أصبح يشكل حجر عثرة في وجه التطور بل أصبحت كل محاولة إصلاحية تلقى مقومة عنيفة منهم خوفا على مصالحهم وأصبحوا يحضون الشعب على قبول السيطرة الاستعمارية والخضوع لها بدعوى أولي الأمر.

وقد استاء العقبي من التيار الطرقي واعتبره أكبر العوامل في إفساد العقيدة الإسلامية، ونظم شعرا ونثرا أبرز من خلاله الآثار الناجمة عن التيار الطرقي ووقعه على المجتمع وتجلى ذلك في قصيدته المشهورة "إلى الدّين الخالص" وهي تعبير عن روحه المتأججة في التطلع إلى الإصلاح ومما لا شك فيه أن العقبي يعتبر من الرواد الأوائل في المدرسة الإصلاحية المتمثلة في الشعر الديني إذ دعا الجماعة الإصلاحية إلى التعاضد وانتهاج طريق الصالحين لبلوغ العلا.

(1) الطيب العقبي: نهضة الجزائر اليوم ودعوتها الإصلاحية، السنة النبوية المحمدية، 1933م، ص3.

ومن ثمّ فإن صيحة العقبي ليست دعوى ذاتية أو شخصية مبنية على اجتهادات خاصة بل دعوة الإسلام كما جاء به الوحي المقدس كتابا وسنة، ولذلك فإن العقبي لم يهاجم في يوم من الأيام الأعمال الخيرية التي يقوم بها بعض أصحاب الزوايا، بل تصدى للذين يستغلون فطرة الشعب بعض أن نصبوا له القباب وهم غير مبالين بمقدسات ومقومات الأمة الجزائرية و يتكالبون على جمع الأموال وتحقيق الرغبات الخاصة بغض النظر على المصلحة العامة الوطنية.

وهاجم العقبي المذهب المادي الذي اتصف به أهل الطرق، كما حمل العقبي هؤلاء إفساد المجتمع الجزائري، والحط من أخلاقياته بعد تشجيعهم للمكر والفجور وإباحة الفسق والاختلاط في الولائم، وأصبحت نظرة العقبي لا تكاد تقع على واقع المجتمع الجزائري حتى تزداد نفسه تألما وحسرة نتيجة تلك الأعمال الشيطانية... (1).

**ب –<u>دعوته الإصلاحية في المساجد والمجالس:</u>**

اشتهر العقبي بالبراعة في فن الخطابة وفصاحة اللسان وقوة الحجة والبرهان والاستدلال من دون تكلف ولا استطلاع، ونتساءل عن أسلوب العقبي في نشر وإيصال مبادئه الإصلاحية؟

لقد وجه العقبي الجمهور مباشرة بالكلمة السهلة البسيطة والصريحة والمعبرة عن سوء أحواله الاجتماعية والدينية. ومنذ الوهلة الأولى اتخذ العقبي من المنبر الوسيلة المباشرة في تعامله مع العامة، وكان يرى ضرورة إصلاح هذه الفئة كمرحلة أولى لتوسيع دائرة نشاطه الإصلاحي.

ولم يهتـــم العقبـــي كثيـــرا بفئة النخبة عندئذ، باعتبار فلسفـــة الإصلاح عنده تتجه من الكل إلى الجـــزء(2).

---

(1) الطيب العقبي: نهضة الجزائر اليوم ودعوتها الإصلاحية، السنة النبوية المحمدية، 1933م، ص4.

(2) أحمد مريوش: الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، –الجزائر–، ط1، 2007، ص 84.

أما أسلوب الخطابة والتعامل عند العقبي فلم يكن بلاغيا معقدا بقدر ما كان يتلاءم والمستوى الفكري لكل الفئات الاجتماعية، ولذلك التفّ حول إصلاحه العدد الكبير من المناصرين، وخاصة فئة الشباب المتعلم، والذي تتلمذ في جامع الزيتونة بتونس وبرغم تعلم هذه الفئة فقد ضلت ثقافتها يغلب عليها طابع التلقين والاجترار دون الهضم والإنكار.

وبذلك ضلت ثقافة معظم هــؤلاء العائديــن جافة في محتواها من الإصلاح الدينـــي والاجتمـــاعي.

وبرغم الجمود الفكري الذي أصاب الزيبان خلال هذه المرحلة فقد آمن نفر من الشباب بحركة العقبي الإصلاحية، ترى ما هو السر في ذلك؟ ولماذا تعلقت العامة كذلك بهذه الصيحة المبكرة؟

يبدو أن السبب في ذلك يعود أساسا إلى طبيعة الإصلاح الذي اعتنقه العقبي بأرض الحجاز، ثم دخل الجزائر بوجه ولسان جديدين عن المجتمع. و لذلك كان يختلف اختلافا كليا عن أهالي بسكرة من حيث المبدأ والتفكير وحتى المعاملات. كل هذه العوامل جعلت العقبي يعالج أوضاع ذلك المجتمع معالجة عامة مع البحث في عمقه، ولم يكتف العقبي بتصحيح الصلاة وبيان نواقض الوضوء، بل استهدفت تكوين مجتمع جزائري أصيل.

ولعل هذا العمق في الإصلاح هو الذي جلب بعض المثقفين الشباب لمناصرة فكر العقبي، ومن المبادرين لذلك محمد العيد آل خليفة الذي لازم العقبي في مختلف وجوه نشاطه تقريبا. ولقد تعزز صف العقبي كذلك بأحمد بن الدراجي ومحمد خير الدين وغيرهما من الشباب المتعطش للإصلاح(1).

---

(1) أحمد مريوش: الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، –الجزائر–، ط1، 2007، ص ص84، 85.

ولم تتوقف صدى حركة العقبي عند عنصر الشباب، بل وصلت إلى العامية حتى إلى أعيان بسكرة الذين باركوا هم كذلك إصلاح العقبي، ويذكر دبوز في ذلك: "وأحاطت به (أي العقبي) طائفة من أعيان بسكرة ينصرونه ويؤيدونه ويستفيدون منه وعلى رأسهم الأمين العمودي والشيخ خير الدين وأسرته آل-أحزاش والحاج حمو بن عبد الله".

وكان لهذه الصحوة أثرها البالغ في توحيد الجهود وإيقاظ الفكر والبحث عن سبيل استرجاع مقومات الشعب الجزائري وعزته في تلك المرحلة المبكرة من عمر الحركة الوطنية الجزائرية. وقد بين لنا درجـــة تلك الصحـــوة في بسكـــرة خلال العشرينات الشيخ خير الدين في مذكرته بقولـــه: "وكان عملي هذا امتداد لما كان يقوم به الشيخ العقبي قبل انتقاله إلى العاصمة"(1).

وبدأ العقبي في نشر مبادئه الإصلاحية داخل مسجد سيدي منصور في بسكرة القديمة وركز في نهجه التربوي على تلقين دروس في العقيدة والإشادة بالتاريخ الإسلامي، وتتبع مراحل السيرة النبوية الشريفة وأوضح أثرها في بناء مجتمع الدولة الإسلامية، واستهدف العقبي من إحياء التاريخ الإسلامي والتعرف على السلف الصالح توعية وتطعيم الشباب بهذه الحلقة المضيئة من التاريخ الإسلامي وكذلك زرع وتعزيز الوازع الوطني في نفوسهم وكانت دروسه تقلى كل يوم بعد صلاة العشاء(2).

وقد ربط العقبي في دروسه هذه الدين بالدنيا، وعالج واقع المجتمع الجزائري إلى البائس تحت تسلط الاستعمار، وانتشرت أفكار العقبي بسرعة إلى خارج المدينة وكثر معتنقوها وتواكبت الجموع الغفيرة لسماع هذه الصيحة الجديدة التي كثر أنصارها حيث أصبح مسجد سيدي منصور لا يتسع لجميع الحاضرين، وانتقل العقبي إلى جامع بركات حيث لم يعد مقتصر على أداء الطقوس الدينية بل جعل من المسجد مركز لإلقاء الدروس والمحاضرات والإرشاد العام ومعالجة القضايا الاجتماعية المتعددة.

---

(1) أحمد مريوش: الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، -الجزائر-، ط1، 2007، ص 86.

(2) علي مراد: الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر من 1925 إلى 1940، دار الحكمة، ط2، 2007، ص124.

وقد شمل نشاط العقبي في بسكرة تنظيم دروس في تفسير القرآن الكريم بدأه بسورة البقرة وآل عمران، وامتاز تفسيره بالبساطة والكلمة السهلة وسرعة الاستدلال كما اهتم كذلك بدروس اللغة العربية وأدائها لأهميتها في تعميق معرفة الإصلاح. وكثيرا ما كانت تقام منتديات أدبية يشرف عليها لعقبي في "جنينة البايلك".

وقد تركت دعوة العقبي الإصلاحية بصماتها الواضحة في نفسية الخاصة والعامة وتسابق أغلب الناس بمدحه والاعتراف بجميله، وقد أعلن أحدهم عن ذلك الأثر بقوله: « جاء العقبي حاملا لواء الإصلاح فصرخ صرخة دوت لها أرجاء الجزائر فبلغت نبراته إلى أعمق قلوب الباطنيين والحلوليين وغادرت أثرا في نفوس الدجالين والخرافيين، فكان ذلك الصوت قاطعا في رقاب الخائنيـــن فانكســـرت شوكتهم، وهنت وحدتهـــم، وكانوا من الخاســـرين»(1).

## ج- نشاطه الإصلاحي وإصداره لجريدة الإصـــلاح:

يبدو أن العقبي لم يكن يجد حريته الكاملة في كتاباته في الصحف التي كان يشارك فيها، ولم يكن مستريحا بشكل أو بآخر مع هذه الصحيفة أو تلك، فلجا إلى إنشاء جريدة خاصة به سماها "**الإصلاح**" وهي جريدة إسلامية أدبية كالمنقذ وبقية الجرائد الإصلاحية في ذلك العهد في مواضيعها وأسلوبها، وقد صدر العدد الأول منها في يوم الخميس 08 سبتمبر 1927، وقد طبع الأعداد الأولى منها في تونس وقد تحدت هذه الجريدة صعوبات جمة وعراقيل كثيرة ثم أعانه أنصاره فاشترى مطبعة قديمة من قسنطينة فاستقدم لها مصففا من تونس، وقاسى الشيخ الطيب العقبي مرارة كبيرة في إصدار جريدته وسارت سيرا متعثرا بسبب الأزمات المادية وكانت أسبوعية ولكن لم يصدر منها إلا 14 عددا في ثلاث (03) سنين كاملة.

---

(1) علي مراد: الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر من 1925 إلى 1940، دار الحكمة، ط2، 2007، ص125.

اهتمت جريدة الإصلاح بالجانب الإصلاحي وشارك في الكتابة فيها ثلة من كبار الكتّاب والشعراء أمثال محمد العيد والأمين العمودي ومبارك الميلي وغيرهم.

وعلى قلة أعداد جريدة الإصلاح وتعثر صدورها منتظمة إلى جانب الإصلاح الديني نجدها قد اهتمت أيضا بالجانب الأدبي وأولته أهمية، لما يكنه صاحبها للغة العربية وآدابها شعرا ونثرا من حب وتقدير ولم كان يمتلكه من ذوق أدبي رفيع، ولما كان يحدوه من طموح لترقيتها فقد كانت الصفحة الرابعة مخصصة لمجاني الأدب، وفيه نشر مختارات شعرية لشعراء جزائريين(1).

ونجد ركنا خاصا للمسابقات الشعرية التي تدعو إلى تشطير بعض الأبيات فتكون بذلك مجالا للمنافسة والتباري، وركنا ثالثا لمأثور القول من الأحاديث والأمثال والحكم وكان الإصلاح يعنى بحياة رجال الفكر والأدب، فنشرت التفاصيل الدقيقة عن حياة الرسام الشهير نصر الدين ديني بمناسبة وفاته كما اهتمت برمضان حمود وكتبت عن حياته وأدبه بمناسبة وفاتـــه أيضا.

كما لعبت الجريدة دورا مهما في نهضة المنطقة بما كانت تنشره من مقالات وقصائد شعرية تغذي القلب والعقل عن القراء وتمتع نفوسهم بجرأتها وبلغتها المدوية.

وفي هذه السنوات كان للعقبي علاقات وطيدة مع الشيخ عبد الحميد ابن باديس إذ كانا يتبادلان الزيارة والمشورة ويناقشان الأفكار والخطط مع بقية رجال الإصلاح من اضراب الإبراهيمي ومبارك الميلي وغيرهما.

(1) محمد بزاوي: معجم الأدباء والعلماء المعاصرين من 1798 إلى 2009، الدار الوطنية للكتاب، د ط، ص422.

حيث قضى العقبي عشر سنوات ( 10) في بسكرة كلها جهاد وكفاح في نشر أفكاره الإصلاحية بين سكان المنطقة بكل وسيلة تمكن منها بما في ذلك الخطبة والموعظة والمحاضرة والمقالة الصحفية والقصيدة الشعرية.

وحين توقفت جريدة الإصلاح في 25 سبتمبر 1930 بعد مشقة وإرهاق في هده الأثناء بلغ صيت العقبي ذروته في كثير من مناطق الوطن، ولفت الأنظار إليه بما أوتي من فصاحة وعلم وأدب وخطابة مما جعل الكثير يرغبون في الاستماع إليه(1).

(1) محمد بزاوي: معجم الأدباء والعلماء المعاصرين من 1798 إلى 2009، الدار الوطنية للكتاب، د ط، ص423.

## III. نمـاذج من خطـب الطيب العقبي المقاومة للاستعمار الفرنسي:

ومن الخطب التي خطب بها الشيخ الطيب العقبي بعد عودة وفد المؤتمر الإسلامي من باريس في أوت 1936 قوله في التحذير من الفرقة التي يعمل البعض على بثها وتأجيج نار الفتنـــــــة بين الجزائريـــين حتى يتسنى للمتآمريـــن الوصول إلى أغراضهم الخبيثة ودسائسهم المهلكـــة.

ومثل هذا التحذير لا يصدر إلا من رجل مخلص وملتزم بقيم وثوابت الأمة، الأمر الذي دفعه إلى عدم الوقوف عند هذا التحذير فحسب بل تجاوزه إلى النصح الأمين: «إياكم أن تأخذوا برأي من يريد التفريق بينكم يلزمنا أن نعيش جميعا في تعاون وتضامن واتحاد ووئام مع الحرية التي لا نقدر أن نعيش بدونها ونحن مسلمون، ديننا الإسلام ولغتنا العربية ووطننا الجزائر فليحيى المسلمون ولتحيى العربية ولتحيى الجزائر »(1).

وكذلك هناك خصبة أخرى للطيب العقبي الذي تناول فيها أعمال المؤتمر الإسلامي وما توصل إليه من نتائج وهذا في صورة عبرت تعبيرا دقيقا عن الواقع « أما بعد فإن المؤتمر الإسلامي الجزائري المنعقد يوم 7 جوان، كان له أثر كبير في حياتنا الحاضرة وكان من أهم نتائج إيفاد هذا الوفد المائل أمامكم إلى باريس يحمل إليها مطالب الأمة وآلامها ويعبر لديها بأفصح لسان عن آمال الأمة التي علقتها بالحكومة الحاضرة، ذلك المؤتمر الذي كان نتيجة طبيعية للحركة الإصلاحية القائمة بالجزائر منذ سنوات »(2).

ولنقرأ خطبة أخرى للشيخ الطيب العقبي التي منها قوله: « وصلنا باريس فألفينا أناسا ولاقينا رجالا لا كمن تعرفونهم هنا بين ظهرانيكم أناسا ورجالا مهذبين مثقفين متحلين بالآداب العالية والأخلاق الفاضلة ومبشرا بأعلى الآداب، متحلين بأحسنها في كامل بلادهم لكانت حالهم غير الحالة.... »(3).

---

(1) سعيد (من صور حياة الجزائر)، الأمة، ع84، 4 أوت 1936م، ص523.

(2) سعيد (من صور حياة الجزائر)، الأمة، ع85، 11 أوت 1936م، ص196.

(3) سعيد (من صور وفد المؤتمر الإسلامي الجزائري استقبال الأمة لوفودها– خطاب الشيخ العقبي)، الأمة، ع84، 4 أوت 1936.

من يقرأ قول الخطيب يلاحظ السهولة والمباشرة في لغته، ويظهر أنه اعتمدها قصدا لأن همه توصيل الفكرة إلى المتلقي دون عناء والوقوف على الغاية المرجوة مباشرة، فتأثره بما رآه في باريس من سلوك حضاري تجلى به أناسها ورجالها أثر فيه أبلغ الأثر مما دفعه إلى القول السهل المباشر، حيث يفهم السامعين ويدعوهم إلى تلك الآداب والأخلاق التي حث عليها دينهم.

وإذا مضينا في الحديث عن اللغة التقريرية الوصفية نجد أيضا الخطيب العقبي في خطابه بمناسبة عودة وفد المؤتمر الإسلامي من فرنسا، منه قوله: « سرنا على بركة الله إلى أم العواصم مشرق أنوار الحرية، وشعرنا إثر وصولنا في قضاء مهمتنا بدون أن نأخذ راحة لأنفسنا من أعباء السفر، زرنا (موريس فيوليت) أب الجزائر وحبيبها الوفي منذ كان في الجزائر ورأينا منه ما قصه عليكم رئيس المؤتمر وأعظم زيارة كان لها الأثر في نفسي، زيارتنا لرئيس الوزراء (مسيوليون بلوم) الذي يمثل الأمة الفرنسية، قابلنا بما يثلج الصدور وسرت به القلوب كل السرور مقابلة لا يمكن أن تفسر بغير ظاهرها وقد شرع في تنفيذ بعض مطالبنا واعدا تنفيذ غيرها في القريب العاجل، وأن قانون غلق المساجد الذي يهمنا أمره بصفة خاصة ذهب أدراج الرياح رغم أنف المعارضين المقترحين له»(1).

ومن يقرأ قول الخطيب يلاحظ أنه استطاع أن ينقل لنا صورة موجزة عن تلك المرحلة التي قام بها وفد المؤتمر الإسلامي المبعوث إلى باريس قصد نقل مطالب الأمة، وقد وجدناه اعتمد لغة تقريرية وصفية تحررت من صفات أسلوب الفخامة في الألفاظ والغرابة في الانتقاء والصعوبة في النطق فجاءت واضحة عبرت تعبيرا دقيقا عن رحلة الوفد ونقلت أحداثها نقلا أمينا للمتلقي، وهذه كانت غاية الخطيب الذي وفق في تبليغ رسالته، وإعانة على ذلك نوع اللغة التي اعتمدها في خطابه.

---

(1) سعيد (من صور حياة الجزائر يوم مشهود في الملعب البلدي بيانات وفد المؤتمر)، الأمة، ع85، 11 أوت 1936م.

**IV- خطبة للتحليل: مكتوبة في جامع الروضة بعنوان: "مفهوم الحياة الطيبة"**

الحمد لله، يأخذ بقلب من أراد له السعادة إلى مقاصد القرب من حضرته، وينعم على من أراد أن يحييه الحياة الطيبة بالتعلق به. و أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، صاحب الملك والملكوت، وذو العزة والجبروت، الإنس والجن يموتون وهو الحي الذي لا يموت. من تعلق منهم بسواه، نازله من شدائد الدّارين ما يكون به من أهــل الإبعاد الذين ضلوّا عن الله. ومن احتكمت علاقتــه به عاش ومات وهو في ظــل عنايته ورعايتــه تعالى في عــلاه.

و أشهد أن سيدنا ونبينا وقرة أعيننا ونور قلوبنا محمدا عبده ورسوله، ونبيه وصفيه وحبيبه وخليله. أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. فكان القدوة العظمى والمثل الأسمى في كل ما تكون به السعادة. وتنال به الحسنى وزيادة. من أحبّ الله تعالى أحبه من أجل الله وتعلق به، وسار في الحياة على مناهجه وطريقه ودربه. اللهم أدم الصلاة على النور المبين الذي انكشفت به سحب الظلمات عن قلوب أهل الإجابة، وارتفعت به العقلات عن بواطن أهل الاستجابة، عبدك المصطفى سيدنا محمد، وعلى آله الأطهار المقترنين بالقرآن لن يتفرقّا حتى يردا عليه الحوض يوم القيامة، وعلى أصحابه الغرّ المهاجرين والأنصار المرتقين ذرى الكرامة، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم وضع الميــزان.

أما بعد عباد الله: فإني أوصيكم ونفسي بتقوى الله. تقوى الله التي لا يقبل غيرها ولا يرحم إلا أهلها ولا يثيب إلا عليها.

في الدنيا ثم المال الحسن والمصير الطيب في الحياة الطيبة، أيّها المؤمنون بالله تعالى في علاه: إن العقبي، مخصوص مقصور على من اتقى الله تبارك وتعالى وأحبّه، وعرف

ألوهيته وربوبيته وتوحده بالخلق والإيحاد والإنعام والإمداد تعالى في علاه، فاستقام على منهاجه، واستضاء بالنور أرسله إلينا(1).

أيّها المؤمنون بالله: هذه حقيقة كثيرا ما تخبطت العقول على الاستقامة على إدراكها، ثم على استشعارها، ثم على ذوقها والتحقق بها، قلم يخلص إلى ذوقها والتحقق بها إلا الخاصة من العباد الذين هيأ الله لهـــم حســـن المآب والمعاد، مع طيب الحياة في العمر الذي هـــو نفـــاذ.

أيّها المؤمنون بالله تبارك وتعالى: هذه الحقائق الكبرى عند غيابها عن الأذهان يعيش الناس فرائس للمتخطفين لهم من شياطين الإنس والجن القاطعين عن الرحمان.

وعلى قدر بعد الأذهان عن تصور هذه الحقائق التي أنبأ عنها الخالق جلّ جلاله، تحصل النكسات للبشر، ويحصل لهم ما يحصل من أنواع البلاء والشر، فيما بطن أو فيما ظهر.

أيّها المؤمنون بالله تبارك وتعالى: لقد ذكر الله في كتابه عن المؤمنين من الذكور والإناث أنه يحييهم الحياة الطيبة كما قال سبحانه: «فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً » فلا يتحقـــق الإيمان على وجهه، والعمل في حياة فرد ولا جماعة إلا حيوا الحياة الطيبة، وتوفّوا يوم يتوفّون: «تَتَوَفَّاهُمُ المَلاَئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلاَمٌ عَلَيْكُم ادْخُلُوا الجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » و "إن الله طيب لا يقبل إلاّ طيبا" وأنه الذي يطيّـــب حياة الذي طيـــّب المعاملة معه جلّ جلالـــه وتعالى في علاه.

أيّها المؤمنون بالله جلّ جلاله، يجب أن ندرك التصور عن الحياة الطيبة ما هي، وإنه ليعرض علينا، في أسواق العروض التي تكاثرت وتناولتها وسائل الإعلام المختلفة بأنواع من ذلك العرض المغري يمنة ويسرة، وهذا عرض الرحمان على لسان سيد الأكوان، خير إنسان، من أنزل عليه القرآن، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، يدعونا لما يحيينا الحياة الطيبة الكريمة..... فما هي؟ وما هو التصور عنها؟

---

(1) /http://ur.wikipedia.org/wiki

وكما عملت دواعي العروض الكاذبة، لما سمَّوه بحياة هنيئة أو طيبة أو متطورة أو كريمة.... إلى غير ذلك من الأسماء، كم عملت يفهم هذه العروض إلى أن يحيدوا عن سنن الرحمان جلّ جلاله، الذي ارتضاه لهم، ثم لا يكسبون من تلك الحيدة بعد مرور المدة، إلا شقاءً وتعبًا وتعاسةً في الدنيا قبل الآخرة ومن دام منهم على ذلك الانقطاع، آل المصير به إلى عذاب مهين أليم شديد عظيم، والعياذ بالله جلّ جلاله وتعالى في علاه(1).

وهم لا ينفكّون في الحياة مهما استعملوا من الوسائل والأساليـــب ما لا ينفكّون عن المعيشة الضنك: « وَمنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَّامَةِ أَعْمَى »، فبؤست المعيشة، وبؤس المحشـــر، هو في الدنيا في عيشة الضنك، وفي القيامة أعمى « قَالَ رَبِّي لِمَا حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتِنَا فَنَسِيتَهـــَا وَكَذَلِكَ اليَـــوْمَ تُنْسَـــى»

فيا أهل التصديق بوحي الله، انظروا كيف تستقبلون العروض المعروضة عليكم فيما تكسبون به خير الحياة وتستعدون به لما بعدها مما هو أطول، ومما هو أدوم، ومما هو أبقى، ومما هـــو خالد.

أيّها المؤمنون بالله: كم من عقول فيما بيننا غرها زخرف القول، فقيدت إلى وهم أنها تدرك طيب الحياة، إلى اقتحام لجّة وبلاء الربا والمعاملات الفاسدة في الشريعة.

ولا تمرّ السنون والأيام، إلا والنتائج: « يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَدَقَات وَاللهُ لاَ يَحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيم » البقرة 276. ولقد تنوعت العروض وانهال الناس على كل ما يعرض، وفيه الإيهامات أن فيه المكاسب، وفيه إصلاح الحال، وفيه طيب العيش، وينهالون انهيالا غريبا، رجالا ونساء، صغارا وكبارا، ولقد أغريت قلوب بأنها تدرك المعيشة الطيبة، وطيب الحياة باعتدائها على آخرين، أو تفردها بملك شيء، أو بمكانة ما من المكانات

(1) /http://ur.wikipedia.org/wiki

بمختلف ألوانها، أو أن تتعصب لمعنى قبليّة أو منطقة أو مذهبا أو تحزّب بشيء من التحزّبات التي تنحل فيها غرى الأدب مع الله وشرعه ومنهاج نبيه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. فلا يقام في عقول أصحابها وزن لإرشاد الحق، وربما تطاولت العقول إلى ليّ معاني الآيات والأحاديث لتكون عرضة لتبعية الأهواء ولتبعية مرادات النفوس وما أنزل الله الكتاب إلا ليهذب نفوسنا، لا ليتبع شهواتها ولا ليكون محلّ الغليان لمراداتها، ولكنه الكتاب الذي يخرج نفوسنا من غلّها وغشّها، ومن قذرها وكدرها، وأوساخها إلى الطهر الذي أحبّه الله تبارك وتعالـــى من البريـــة(1).

أيّها المؤمنون بالله: هنا موازين في الكتاب الأعزّ وفي السنة الغرّاء لمعاني الطيبة في الحياة واكتساب السعادة في الدّارين، تقوم على أساس إيثار الحق على ما سواه، وإدراك المهمة الكبرى لما خلقنا في هذه الحياة، وإلى أين نصير، وإلى أين نمضي، وما الواجب علينا في التعامل مع من خلق ومع خلقه، ومع لأنفسنا هذه التي إما أن ترتفع و تتنقى وتتزكى فتقود إلى الدرجات العليا، وإما أن تدسّ وتنحطّ فتأخذنا إلى الهاوية، وبئس المصير، والعياذ بالله: « وَنفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَها وَتقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا».

أيّها المؤمنون بالله : ولنأت إلى معنى من معاني الوزن بالميزان النبوي للنظر في هذه الشؤون والأحوال. إن مما يتبادر إلى الأذهان أن الوفرة للأطعمة والملابس وأمثالها محل الطيبة وسبب السعادة للإنسان ووجود الخير له، وإنا لنعلم أنه لا ملام على أحد في طلب الحاجة، ولا يلام على كفاف، وأنه إن خرج عن الميزان امتدادا إلى إرادة التنعم في دار ليست دار نعيم بأوهام قاده ذلك وساقه إلى أودية من الضياع ومن البلاء ومن الشرّ والشقاء بأنواعها المتنوعة، وهذه سنة الله في هذا الوجود من أوله إلى أن تقوم الساعة.ولكن جعل الشرع المصون مساحات المباحات لقوم النـــاس فيها على مراتب في تحقيق الإيمان والإسلام، فيكون أدناهم درجة من لا يسمح لنفسه أن تخرج عن هذه

(1) /http://ur.wikipedia.org/wiki

الحـــدود، حـــدود ما أباحـــه الشرع في قول أو معاملـــة أو اكتساب أو تفكيـــر أو نظر إلى الأشيـــاء.

وعندئذ يكون هذا عنصرا يؤمن شره ولا يأتي منه القبيح الذي يضرّ غيره. وهم بعد ذلك درجات في نظرهم إلى المباحات وكيفية تعاطيهم لها ونياتهم فيها ومراداتهم منها.

ثم إنه بعد ذلك إذا اقترن بالاتساع في المباحات دون وقوع في المعاصي والسيئات، شؤون أخر لا تتعلق بنفس اتساع المباحات، لكن بنتائج يدخل فيها إلى حالات التباغض والتحريش ببعضهم البعض والعداء لبعضهم البعض، أن فقد تلك المباحات خير وأسلم وأقوم وأحسن للبشر والناس، مع وجودها في وجود هذه الظلمات. وهذا الذي تعدّدت فيه الروايات عن الناطق بالحق صلى الله عليه وسلم، وتأمّلوا كلامه عليه الصلاة والسلام وقد تكرّر وجاء بالروايات المتعددة (1)، ومنه ما تعلق بأن قال بعض أهل الصفة في مسجد الكريم، في المدينة المنورة، وقد كان من وفد إلى المدينة ولا معرفة له بأحد فيها ينزل في الصفة، وكان في غالي الأيام يقسم عليهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– من التمر مدّا أو مدّين لكل اثنين منهم، قوته في اليوم والليلة، حتى سمع يوما بعضهم يقول من خلفه: يا رسول الله أحرق بطوننا التمر. فصعد النبي المنبر وقال: قد أتت علي وصاحبي ثمانية عشر ليلة ما كان لنا من طعام إلا البرير– يعني به ثمر الأراك، إذا اسودّ ثمر الأراك وأشرف على الفساد يقال له برير– مضت عليّ وصاحبي ثمانية عشر ليلة ليست لي فيها من طعام وله إلا البرير، وإنا وفدنا على الأنصار في المدينة فواسونا وعظم طعامهم التمر فواسيناكم منه. أمّا إني لو أجد الخبز واللحم لأطعمتكم منه أو لأشبعتكم منه، ولكن كيف بكم بعدي إذا أدركتم زمنا يغذى فيه على أحدكم بالصفحة، ويراح بأخرى، ويلبس حلة، ويروح في أخرى، وتكسى البيوت كما تكسى الكعبة. أنتم اليوم خير أم أنتم يومئذ؟ قال بعضهم يا رسول الله نكون يومئذ خير، نتفرغ للعبادة ونكفى المؤونة، قال: لا، أنتم اليوم

(1) /http://ur.wikipedia.org/wiki

خير منكم يومئذ. جاء في روايات "إنكم اليوم متحابون، وإنكم يومئذ يضرب رقاب بعض "وفي لفظ" وإنكم يومئذ أعداء يضرب بعضكم رقاب بعض. "فلا بورك في ثروة، ولا وفرة من المال تبتعد بين القلوب وتحمل الناس على البغضاء والعداوة والشحناء بينهم.

أيّها المؤمنون: موازين تتعلق بهذا يجب أن نستوضحها. اللهم إملأ قلوبنا بأنوار الإيمان واليقين، وأحيينا حياة الطيبين الحياة الطيبة، وهيئنا لنزل الصالحين من عبادك في دار البقاء والخلود، واحشرنا في زمرة نبيّك وأنت راض عنا يا بر يا ودود، وأصلح شؤون أمته أجمعيــن.

والله يقول وقوله الحق المبين: « وَإِذَا قُرِئَ القُرآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» وقال تبارك وتعالى: « فَإِذَا قَرَأتَ القُرْآنَ فَاسْتَعِذ بِاللهِ مِنَ الشَيْطَانِ الرَّجِيم » أعوذ بالله من الشيطان الرجيم(1). « فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا من الحر قل نار جهنَّم أشد حرا لو كانوا يفقهون. فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون، فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين. ولاتصلّ على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره، إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون. ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم. إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون. وإذا نزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين. رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون. لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات. وأولئك هم المفلحون. أعدّ الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها. ذلك الفوز العظيم. وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله، سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم.

(1) /http://ur.wikipedia.org/wiki

ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله. ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم. ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون. إنما السبيل على الذين يستأذنوك وهم أغنياء. رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون. يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم نبّأنا الله من أخباركم، وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردّون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ».

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، ثبتنا على الصراط المستقيم، وأجرانا من خزيه وعذابه الأليم، أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم ولوالدينا ولجميع المسلمين، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم(1).

(1) /http://ur.wikipedia.org/wiki

## تحليـــل الخطبـــة:

### أ -من حيث المضمون:

هذه الخطبة ألقاها العقبي في جامع الروضة يتحدث فيها عن الحياة الطيبة.

من خلال هذه الخطبة يدعو العقبي المتلقي إلى تقوى الله قوله وعمله للظفر بحسن المآب واستشهد بالآية الكريمة في قوله تعالى: « ولنحيينه حياة طيبة».

كما يدعو إلى الاستقامة كي لا يقعوا فريسة لأعداء الدين الذين يدعون إلى الانحراف والبعد عن القيم الدينية التي أمرنا بها الرسول -صلى الله عليه وسلم- فمن يحيد عن الطريق الاستقامة يعيش في ضلالة وبالتالي الخسران في الدنيا والآخرة فيا عباد الله اعتصموا بحبل الله يحييكم الله حياة طيبة في الدنيا وحسن المآب في الآخرة لقوله تعالى: « تتوافهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنـــة بما كنتم تعملون » وأيضـــا: « إن الله طيب لا يقبل إلا طيبـــا».

فالحياة الطيبة في مفهوم العقبي هي معاداة العروض والإغراءات التي تقدمها وسائل الإعلام المختلفة المنافية للقيم الدينية والتي يوهمون الناس بأنها أساس الحياة الكريمة وفي النهاية ما هي إلا خسران للعاملين بها وشقاء، لقوله تعالى: « ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى».

وبالتالي انتقاء من هذه العروض أحسنها وأدومها للفرد والفلاح في الدّارين لقوله تعالى: « قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنســـى».

فمن أراد الرأفة من المولى عز وجل عليه إتّباع السبل التي أمرنا بها الرسول الكريم.

كما دعا العقبي في خطبته إلى الابتعاد عن المعاملات الفاسدة وعلى رأسها الربا لأنها من الموبقات المنهى عنها لقوله تعالى: « يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيـــم».

وانهيال الناس على الربا ظنا منهم أنها أسهل طريقة للربح السريع مجرد أكذوبة على النفس التي تضعف أمام مغريات الحياة والعمل على الحصول عليها بأي طريقة كانت حتى ولو كان عصيان أوامر الله ورسوله، فهو فتح الباب أمام الخسران المبين والمعيشة الضنك فمن أراد الربح عليه بالعمل المشروع الذي أحله الله عز وجل وليس بالاعتداء على الناس ومخالفة الكتاب والمنهاج الصحيح الذي جاء لتهذيب النفوس وإخراجها من الغل والغش إلى الطهر والنقـــاء.

ويبين العقبي في خطبته أن من يريد السعادة في الدنيا والآخرة لا يكون إلا على أساس الحق فإن يعرف كل واحد منا أننا لم نخلق لنلهو ونلعب بل خلقنا من أجل عبادة الله في أرضه وذلك بالعمل بأوامره وترك نواهيه ومن بينها حسن معاملة خلق الله وتحريم الاعتداء عليهم بأي شكل من الأشكال لقوله –صلى الله عليه وسلم– في حديث قدسي: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا).

وقد أشار العقبي في خطبته إلى شكوى الصحابة للرسول –صلى الله عليه وسلم– في أكلهم للتمر دون غيره فقال لهم الرسول عليه الصلاة والسلام إني لو أجد الخبز واللحم لأطعمتكم منه ولأشبعتكم وأشار إلى القوم الذي يأتي بعدهم وانغماسه في الخيرات والملذات ولكن انتشار العداوة والبغضاء بين أفراده الشيء الذي يفقد الحياة نكهتها ففقر مع محبة وتضامن أفضل من ملذات الحياة مع عداوة وشحناء.

وبالتالي نستخلص من خطبة العقبي أن الدين وحده هو الذي ينهض بهذه الأمة حديثا كما نهض بها قديما، وبالدين فقط نصل إلى حيث نأمل ونبلغ كل ما نرجوه ونتمناه،

والدين هو رأس مالنا الذي لا خسارة معه ولا ندامة تلحق العاملين به والمعتصمين بحبله المتين إذن فالدين قلب كل شيء.

دعوة العقبي الإصلاحية قبل وبعد كل شيء دعوة دينية محضة لا دخل لها في السياسة البتة يريد منها تثقيف أمتنا وتهذيب مجتمعنا بتعاليم دين الإسلام الصحيحة التي تتلخص في كلمتين أن لا نعبد إلا الله وحده وأن لا تكون عبادتنا له إلا بما شرعه وجاء من عنده.

**ب - من حيث الشكـــل:**

من حيث اللغـــة تتميز بالسهولة والبساطة في الألفاظ ومفهومة من طرف جميع الفئات وغيـــر معقـــــدة.

كما استعمل العقبي لغة مباشرة واستغنى عن الاطناب في الحديث، من حيث الاقتباس لجأ العقبي في خطبته إلى الاقتباس من القرآن والسنة للتأكيد على دعواه وقوة التأثير في المتلقين والاقتباس من القرآن من أقوى الأدلة وانفعها.

أما من حيث الأسلوب فأسلوب العقبي يتميز بالسهولة والوضوح في معانيه حيث استعمل أسلوب الترهيب والترغيب، لترهيب من عذاب الله من جراء مخالفة أوامره ونواهيه ومن أمثلة ذلك في قوله: "على قدر بعد الأذهان عن تصور الحقائق التي أنبأ عنها الخالق جل جلاله تحصل النكسات للبشر ويحصل لهم ما يحصل من أنواع البلاء والشر فيما بطن أو فيما ظهر"، وقوله أيضا: "ومن دام منهم على ذلك الانقطاع آل المصير به إلى عذاب مهين أليم شديد عظيم".

واستعمل أسلوب الترغيب في الحياة الطيبة من خلال إتباع المنهج السليم في الحياة والاقتداء بسنة النبي –صلى الله عليه وسلم– وذلك من خلال قوله "أوصيكم ونفسي بتقوى الله. تقوى الله التي لا يقبل غيرها ولا يرحم إلا أهلها ولا يثيب إلا عليها"، وفي قوله: "هيأ الله لهم حسن المآب والمعاد مع طيب الحياة في العمر الذي هو نفاذ".

كما قام العقبي بالتنويع في الأسلوب بين الخبري والإنشائي فمن أثلة الأسلوب الخبري: "أن العقبى مخصوص مقصور على من اتقى الله تبارك وتعالى وأحبه" وأيضا في قوله: "هذه الحقائق الكبرى عند غيابها عن الأذهان يعيش الناس فرائس للمتخطفين لهم من شياطين الإنس والجن القاطعين عن الرحمان".

و الأسلوب الإنشائي من خلال "أيّها المؤمنون بالله تبارك وتعالى" والمتمثل في النداء كما نجد الاستفهام في قوله: "فما هي؟ وما هو التصور عنها؟"، كما زين العقبي بعده صور بيانية ساعدت على تقوية المعنى من أمثلة ذلك قوله: "كم من عقول فيما بيننا غرها زخرف القول فقيدت إلى وهم أنها تدرك طيب الحياة".

كما استعمل بعض المحسنات البديعية زادت الخطبة رونقا وجمالا ومن أمثلتها الطباق في "الجن والإنس" و "الذكور والإناث" و "صغارا وكبارا" و "يمنى ويسرى".

كما نجد السجع في قوله: "بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ثبتنا على الصراط المستقيم وأجارنا من خزيه وعذابه الأليم".

# ** خاتمـــــــة **

ليس من حق المرء أن يدعي في مجال الدراسات الإنسانية، أن ما ذهب إليه من قول هو حق وما عاداه فباطل، وإلا من المحال أن تتطور تلك الدراسات وتتنوع إلى حقول مختلفـــة وكثيـرة متباينـة فيمـا بينهـا تبايـــن المناهـج المتبعـــة عند كـــل دارس، والدراسات الأدبية في ذلك ســواء. فهـي تختـف نتائجها اختلاف مناهج الدراسة المتبعة لدى كـل باحث.

وتبعا لذلك لقد حاول هذا البحث أن يقرأ المقاومة الجزائرية من خلال فن الخطابة في النثر الجزائري الحديث قراءة عساها أن تضيف جديدا لما تم من دراسات سابقة لهذا اللون من الفـن النثـري، في انتظار قراءات أخرى يمكن أن تضيف جديدا تبنى عليه أعمال أخـرى.

و النتائج التي توصل إليها البحث في هذه الدراسة ليست نهائية، إذ مثل هذا الظن يعد قدحا وتعطيلا لقدرات من سيأتي من الدارسين والباحثين.

و هذا لا يمنع من التنويه والتأكيد على بعض النتائج المستخلصة من هذه الدراسة التي يمكن إجمالها فيما يلي:

يبين البحث من خلال القراءة التاريخية أن احتلال فرنسا للجزائر وبسط نفوذها الضاغط على مقومات الأمة أدى إلى تغيير صور الحياة العامة، مما أوقعها في أتون مكائد الإدارة الاستعمارية فعمت بذلك البلوى في جميع نواحي حياتها.

خلص البحث إلى أن أجناس النثر الفني في الجزائر منها الخطابة قد عرفت تغيرا في الصياغة والشكل، وتحررت من القوالب المحفوظة ومالت إلى السهولة.

و خلص البحث كذلك إلى أن الخطابة في النثر الجزائري لم تقف عند موضوع واحد، بل عالجت أكثر من موضوع حتى أننا لا نكاد نجد نصّا خطابيا تفرد بقضية واحدة، بل تزاحمت فيه قضايا مختلفة وذلك قصد تعرية الواقع ومعالجته.

-و قد قرأ البحث خصائصي الخطابة قراءة فنية انتهى إلى أن الالتزام والواقعية سمة بارزة في النص الخطابي لدى خطباء الجزائر وبخاصة خطباء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

-وما يلفت الانتباه أيضا في لغة الخطابة في النثر الجزائري أنها تمثلت الدين الإسلامي، وفكره، فأشرقت ألفاظها واستضاءت معانيها بالقرآن الكريم.

-وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على نموذج تاريخي كان له الفضل الكبير في إصلاح بلاده من خلال أعماله الإصلاحية التي قام بها ألا وهو الطيب العقبي الذي كان مثالا حيا عن أبطال الجزائر الذين كشروا عن أنيابهم من أجل الدفاع عن وطنهم بكل الطرق والأساليب وكان ذلك من خلال العديد من خطبه الثورية.

ومن هذا العرض لنتائج هذا البحث يمكن القول أن الخطابة في النثر الجزائري قد تبوأت مكانة رفيعة وذلك بما تفردت به من خصائص لا نجدها في غيرها من الفنون الأدبية الأخرى.

# -- قائمة المصادر والمراجع --


- القرآن الكريم

1. أبو القاسم سعد الله: خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة والتحرير 1830-1962، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2007.
2. الأمير محمد بن عبد القادر الجزائري: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر.
3. الطيب العقبي: نهضة الجزائر اليوم ودعوتها الإصلاحية، السنة النبوية المحمدية، 1933.
4. الوناس الحواس: نادي الترقي ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية، 1927-1954، دار شطايبي للطباعة والنشر والتوزيع، 2003.
5. إحسان النص: الخطابة السياسية في عصر بني أمية، دار الفكر، دمشق، سوريا.
6. أحمد شرفي الرفاعي: الشعر الوطني الجزائري، دار الهدى، عين مليلة، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
7. أرسطو طاليس: فن الخطابة، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار الشؤون الثقافية.
8. إسماعيل العربي: المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
9. آسيا تميم: الشخصيات الجزائرية 100 شخصية، دار المسك للنشر والتوزيع، 2008.
10. بدوي طبانة: قضايا النقد الأدبي، دار المريخ للنشر، الرياض، 1984.
11. بطرس البستاني: محيط المحيط، مكتبة لبنان.
12. جلال يحي: السياسة الفرنسية في الجزائر، 1830-1960، دار المعرفة، القاهرة، ط1.

13. جمال قنان: عنصر في الأزمة الجزائرية الفرنسية 1826، مجلة التاريخ، 1984.
14. جوان جليسي: ثورة الجزائر، ترجمة عبد الرحمان صدقي أبو طالب، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966.
15. سليمان الصيد، صالح بن مهنا القسنطيني: حياته تراثه، دار البحث، قسنطينة، الجزائر، ط1، 1983.
16. شوقي ضيف: العصر العباسي الأول، دار المعارف، مصر، ط2.
17. صلاح العقاد: المغرب العربي (الجزائر، تونس، المغرب الأقصى)، دراسة في تاريخه الحديث وأحواله المعاصرة، القاهرة، ط2، 1966.
18. عباس محمد: البشير الإبراهيمي، أديب كلية الآداب، جامعة بغداد، 1983.
19. عبد الجليل عبده شلبي: الخطابة وإعداد الخطيب، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1986.
20. عبد الحميد بن باديس: آثاره، من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، دار البحث، قسنطينة، ط1.
21. عبد الحميد زوزو: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر( 1830–1900)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
22. عبد العظيم رمضان: الغزوة الاستعمارية للعالم العربي، دار المعارف، القاهرة، 1985.
23. عبد القادر القط: في الشعر الإسلامي والأموي، دار النهضة العربية، بيروت، 1979.
24. عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماس المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
25. عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث ( 1830–1974)، دار نافع، 1976.

26. عبد المجيد التميمي: مغامرة الحماية التونسية على وهران 1830، المجلة التاريخية المغربية، 1971.
27. عبد النور جبور: المعجم الأدبي، دار الملايين للعرب، بيروت، ط2، 1984.
28. عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار العودة ودار الثقافة، بيروت، ط3.
29. علي مراد الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر (1925–1940)، دار الحكمة، ط2، 2007.
30. عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962، دار المغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997.
31. فرحات عباس: حرب الجزائر وثورتها (ليل الاستعمار)، مطبعة فضالة، المغرب.
32. كوليت وفرانسيس جونسون: (الجزائر الثائرة)، ترجمة محمد علوي الشريف وآخرون، دار الهلال، 1957.
33. مجد محمد الباكير البرازي: في النقد الأدبي الحديث، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان–الأردن، ط1، 1986.
34. محمد أبو زهرة: الخطابة أصولها تاريخها في أزهى عصورها عند العرب، دار الفكر العربي، بيروت، 1834.
35. محمد بزاوي: معجم الأدباء والعلماء المعاصرين (1798–2009)، الدار الوطنية للكتاب.
36. محمد البشير الإبراهيمي: آثاره، دار العرب الإسلامي، بيروت، ج2.
37. محمد حسين: الاستعمار الفرنسي –دراسة قانونية– الجزائر، 1985.
38. محمد زكي العشماوي: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة، بيروت، 1979.

39. محمد الزباخ: فنون النثر الأدبي بالأندلس في ظل المرابطين، الدار البيضاء- المغرب، الدار العالمية، بيروت-لبنان، ط1، 1987.
40. محمد الطيب العلوي: مظاهر المقاومة الجزائرية ( 1930-1954)، قسنطينة، دار البحـــث، 1985.
41. محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المطبعة العربية الجزائريـــة، 1971.
42. محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي، دار العودة، بيروت، ط1، 1982.
43. محمد مصايف: النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.
44. مصطفى الأشرف: الجزائر الأمة والمجتمع.
45. مصطفى طـــلاس وســـام العسلـــي: الثورة الجزائرية، دار الشورى، بيروت- لبنان، ط1، 1982.
46. معينة الأزرق: نشوء الطبقات في الجزائر، ترجمة سمير كرم، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1980.
47. نبيل بلاسي: جبهة التحرير الوطني الجزائري ودورها في حرب الاستقلال، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة.
48. يحي بوعزيز: سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية ( 1830-1954)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985.

## المجـــلات:

1. سعيد: (من صور حياة الجزائر)، الأمة، ع84، 4 أوت 1936.
2. سعيد: (من وفد المؤتمر الإسلامي الجزائري استقبال الأمة لوفودها خطاب الشيخ العقبي)، الأمة ع84، 4 أوت 1936.

## المعاجـــــــم:


1. البخاري محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت، 1981.
2. الجاحظ: البيان و التبيين، مكتبة الجاحظ، بيروت، ج1.
3. الزمخشري: أساس البلاغة، مكتبة لبنان–بيروت، 1996، ج1.
4. الفيروز أبادي: القاموس المحيط، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ج1.


## المصادر الأجنبية:


1. /http://ur.wikipedia.org/wiki
2. AGERON, CH, ROBERT. HISTOIRE DE L'ALGERIE CONTEMPORAINE (1830-1976)P.U.F.
3. TEGUIA-MUHAMED. L'ALGERIE.O .P.U. ALGER.
4. AGERON, CH, ROBERT. POLITIQUE COLONIALE AU MAGHREB P.U.F PARIS- 1972.

# * الفهـــرس *

- الدعـــــــاء

- الشكـــــــر

- الإهـــــداء

مقدمـــــة .....أ

مدخـــــل ..... 5

الفصـــل الأول: الخطابة ودورها في التصدي للاستعمار ..... 26

1 -تمهيـــد ..... 27

2 -تعريف الخطابة.....28

أ -لغـــــة ..... 28

ب -اصطلاحا ..... 29

3 -عناصر الخطابة وأركانـــها ..... 30

4 -خصائصها ..... 34

أ -الالتـــــزام ..... 34

ب -الواقعيـــــة ..... 37

5 -الخطابة عند العرب ..... 40

6 -الخطابة مراحلها ودورها في الجزائر إبان الثورة التحريرية: .....43

أ -مرحلة ظهور الأمير عبد القادر..... 43

ب -مرحلة ما بعد الأمير عبد القادر..... 45

ج- مرحلة ما قبل ظهور جمعية العلماء المسلمين ..... 46

د- مرحلة ظهور جمعية العملاء المسلمين ..... 48

الفصل الثاني: تجليات مقاومة الاستعمار في خطب الطيب العقبي ..... 52

1 -نبـــذة عن حياة الطيب العقبـــي ..... 53

2 -أهـــــم أعمـــال الطيب العقبـــي ..... 55

أ -العقبي خطيب نادي الترقي ..... 55

ب أهم نشاطات الطيب العقبي في بسكرة ..... 61

ب1- بداية صراعه مع الطرقية ..... 61

ب2- دعوته الإصلاحية في المساجد والمجالس ..... 63

ب3- نشاطه الإصلاحي وإصداره لجريدة الإصلاح ..... 66

3 -نماذج من خطب الطيب العقبي المقاومة للاستعمار الفرنســـي ..... 69

4 خطبة للتحليل ..... 71

خاتمـــــــــة ..... 82

قائمـــــة المصـــــادر والمراجـــــع ..... 84